



# حولية

## كلية الدراسات الإسلامية والعربية

### للبنين بالقاهرة

### محلة علمية سنوية محكمة

العدد

السادس والعشرون

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة الافتتاح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين  
سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد فيسعدني أن أقدم للقراء  
والياحدين هذا العدد الجديد رقم ( ٢٦ ) لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية  
للبنين بالقاهرة للعام الجامعي ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م وهي مجلة علمية محكمة  
تنشر الأبحاث العلمية بعد الموافقة على نشرها من قبل لجنة التحكيم المعتمدة من  
إدارة الدراسات العليا بالجامعة ، وثاني الأبحاث العلمية في الحولية بثلاثة روافد  
علمية هامة .

• **الرافد الأول :** أبحاث قسم أصول الدين من حديث وتفسير وعقيدة .

• **الرافد الثاني :** أبحاث قسم الشريعة من الفقه المذهبي والفقه المقارن

وأصول الفقه . والسياسة الشرعية . والأحوال الشخصية .

• **الرافد الثالث :** أبحاث قسم اللغة العربية من النحو والصرف والأدب

والبلاغة وأصول اللغة . وكافة علوم اللغة العربية .

والأبحاث العلمية التي تنشر بحولية الكلية تتميز بالدقة العلمية والتنوع العلمي

بحيث تشمل كل العلوم التي تدرس في الأزهر الشريف قديماً .

واقف الموفق والمأمدي إليّ سواء السبيل

**عميد الكلية**

أ . د محمد محمد زياتي عبد الرحمن

## كلمة رئيس التحرير

حداً لمن وقفنا لحمده ، حداً يكافئ نعمه ، ويستمطر فضله ... وصلاة  
وسلاماً على القدوة الحسنة ، ومن القدي به واعتدي ....  
أما بعد فمن الحقائق التي ينبغي أن تحشد الجهود لاستمرارها واضحة المعالم ؛  
لشدة تأثيرها على مسيرة الأمة ... أن المؤهلات العلمية ليست دليلاً على أن  
الحاصل عليها قد صار حجة في مجاله ما لم يكن مستمراً في البحث والإطلاع  
والتنقيب عن كل جديد ... مستصحباً جهود السابقين ، بانياً عليها ، مطوراً إياها  
، مبيناً غموضها ... فما لم يكن للرأي العلمي جذور أصلية لا يعتد بها في مضمار  
البحوث الجادة .

إن العلم لا ساحل له ، ومن ظن أنه قد علم فقد جهل ، ولا يد لكل عالم من  
أن تظل في يده الخبرة إلى المقبرة كما أثر عن الإمام أحمد بن حنبل .  
وكلما كان البحث مستهدفاً بيان حكم شرعي يضبط الواقع العلمي للأمة أو  
تنقذ شبهة عارضة ، أو تيسر فهم التراث ، أو تبيح الدارسين إلى مصادر المعرفة  
الأصلية ... كان مسراه شامخاً في مجال الدراسات النافعة التي تتسم بساخلود  
والبقاء .

من هنا كانت فكرة إصدار الحوليات العلمية في مختلف الجامعات وسيلة  
لتحفيز أعضاء هيئة التدريس ، وتوجيهها لمن سلك طريق الدراسات العليا وإسهاماً  
في خدمة العلم والدين ....

ولما كانت كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة تمثل الأزهر  
الأصيل الذي يعني بتسليم أبنائه بمختلف العلوم الإسلامية بعضاً كما في الأواني  
المستطرفة ... لما كان ذلك كانت من أوائل من نشط في إصدار هذه الحوليات منذ  
أربعة وعشرين عاماً متواصلة .... وهذا هو العدد السادس والعشرون منهم

كسابقيه بالبحوث الشاملة للأقسام العلمية الثلاثة : أصول الدين والشرعة الإسلامية واللغة العربية وأدبها ... وما يلفت النظر أن حولتنا لم تقتصر في قبولها للبحوث على أبنائها ، بل فتحت المجال أمام كل من يسهم ببحث جاد ، معتمدة في قبول هذه البحوث على التحكيم العلمي من ذوي الاختصاص من أعضاء قائلجان العلمية الدائمة بالجامعة .

لرجو أن تكون عند حسن ظن القارئ والدارس وأنجين منهم أن يدلوا بدلوهم في إثراء البحث قالعلمي . تعليقا ، أو تعقبا ، أو تكميلا ، فما كتب كتابا شيئا في يومه إلا قال عنه في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو وضع هذا موضع هذا لكان يتحسن وذلك دليل الصاف البشر بالنقص وأن الكمال لله وحده .

كتب الله السداد والتوفيق لكل المخلصين إنه ولي ذلك والقادر عليه ،،

رئيس التحرير

أ . د محمد المختار محمد المهدي

أستاذ الدراسات العليا بالكلية

## هيئة تحرير الحولية

الأستاذ الدكتور / محمد محمد زقاني عبد الرحمن

عميد الكلية

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الشافي إبراهيم

وكيل الكلية

رئيس التحرير :

الأستاذ الدكتور / محمد المختار المهدي

الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية

الأستاذ الدكتور / المحمدي عبد الرحمن عبد الله

رئيس قسم أصول الدين

الأستاذ الدكتور / عبد الله محمد سعيد

رئيس قسم الشريعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور / طاهر عبد اللطيف عوض

رئيس قسم اللغة العربية

الأستاذ الدكتور / محمد عمار جمعة

أستاذ الأدب والنقد بالكلية

محرر التحرير :

السيد / عادل مدهوري أمين

# **الطرق الصوفية والجهاد**

## **في العصر الحديث**

**دراسة نموذجية وتقويمية**

إعداد الباحث

د/ علي إسماعيل الجدة

أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الأزهر

## مقدمة

٣

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد ..

لكل إنسان دور يؤديه في الحياة — إيجاباً وسلباً قوة وضعفاً — وبمضي إلى ربه فيجد ما قدمه بين يديه وأثره شاهد عليه — قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١) <sup>(١)</sup> والإنسان دائر بين فلكين ومقلب بين أمرين لا انفكاك له عن أحدهما شاء أم أبى — هما الخير والشر — وقد بين الله له طريقهما ودله عليهما — قال تعالى : " وهديناه السبيلين " <sup>(٢)</sup> أي بينا له طريق الخير وطريق الشر — فالهداية من الخالق والفعل من المخلوق .

وهذه المنظومة آية ربانية وسنة إلهية وقضية قدرية — والإنسان الطرقي لا يخرج في إطاره عن هذه المنظومة — والطرق بمكوناتها الإنسانية كذلك — فمنهم من له دور إيجابي في الحياة — ومنهم من له دور سلبي فيها . وهذا الدور بتوعية له أهميته وخطورته من جماعة كبيرة في المجتمع — وقطاع عريض فيه — إذ تمثل الطرق الصوفية الاتجاه الشعبي في كثير من البلاد الإسلامية — خاصة بعد أن تقلعت الجماعات والأحزاب الدينية وتراجعت عن الصدارة في المجتمعات الإسلامية .

هنا يأتي دور الطرق الصوفية ليسد الخلل ويجبر النقص الذي لم تملأه الجماعات المقدمة في فترة تاريخية من أحلك الفترات وأشدّها حرجاً . هي فترة الاحتلال الذي منيت به القارة الإفريقية — وكانت هذه الفترة محور الارتكاز — والتي تعرضت فيه الطرق الصوفية لاختبار قاس وامتحان شديد . عاملاً قوياً في بيان أمرها وكشف حقيقتها وتوضيح موقفها في قضية من أخطر قضايا العصر الحديث إلا وهي قضية الجهاد .

(١) يس آية ١٢ .

(٢) البلد آية ١٠ .

٤ ففي القرنين التاسع عشر والعشرين استعمرت إفريقيا . ووقعت تحت ليران الاحتلال الأوربي . واكثرت بناره . ولا بد للطرفين من موقف إزاء هذا المختل المعتدي فعماذا كان موقفها ؟

لقد تابعت الطرق الصوفية في موقفها من قضية الجهاد . فهناك طرق صوفية كثيرة رفعت راية الجهاد وقاومت المختل بكل ما أوتيت من قوة . وقابلتها أخرى قليلة رفعت راية الاستسلام والمسالمة فهادته وساعدته . فلماذا جاهدت الأولى وقاومت وهادنت الثانية وساعدت ؟ وكيف ذلك ؟

وهذا البحث في مضمونه ومحتواه يجب عن هذه الأسئلة . وهنا تكمن أهميته وخطورته . ولكي تكون الإجابة صحيحة والردود صريحة لابد من بيان مطلبين :  
**الأول :** إثبات تصوف الفرد تصوفاً حقيقياً لا إدعائياً وبيان الطريقة التي ينتمي إليها .

**الثاني :** إثبات أنه جاهد وقاوم أو هادن وعاون . وعليه — فالصوفي الذي لم يجاهد والجاهد الذي لم يتصوف خارج عن نطاق بحثنا . فلابد من حصول الأمرين والجمع بين المطلبين . وقد اقتضى ذلك الاعتماد على المنهج الوصفي والتاريخي " الاستردادي " حيث نصف ظاهرة الطرق الصوفية محل الدراسة وصفاً دقيقاً باسئراء تاريخها واستشكافها والتفاعل معه لفهم الماضي . بغية الوصول إلى الهدف المنشود والحكم المقصود في قضية بحثنا .

ولكن كانت الفترة الزمنية طويلة والمساحة الجغرافية كبيرة . وهي كذلك بالفعل فإننا ندور مع الظاهرة وجوداً وعدماً . فحينما ثبت التصوف والجهاد فتم المراد . وإلا فإن شخصا واحداً في قطر واحد يكفي لإقامة رسالة علمية أو أكثر . ولذلك جعلنا دراستنا نموذجية متتعة ، وتسهيلاً لهذه الدراسة فقد قسمتها إلى أربعة مباحث مسبقة بملزمة وتمهيد ومقوبة بخاتمة .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع والمنهج المتبع فيه .

**والتمهيد** تناولت فيه المصطلحات المستخدمة في البحث وهي الطرق

الصوفية وتطورها . ومعنى الجهاد . والمقصود بالعصر الحديث .



**والمبحث الأول** جعلته بعنوان "الطرق الصوفية وأدلة الجهاد" وفيه مناقشة الأدلة التي احتج بها القوم على أن المقصود بالجهاد — جهاد النفس وفدت ذلك .

**والمبحث الثاني** . جعلته بعنوان "الطرق الصوفية المقاومة" وتناولت فيه الطرق الصوفية التي جاهدت المحتل في كثير من البلدان الأفريقية . ذاكراً للمواقع والنتائج .

**والمبحث الثالث** . جعلته بعنوان "الطرق الصوفية المعاونة" وتناولت فيه الطرق الصوفية التي عاونت المستعمر وساعدته . مبينا وجوه ذلك ومفسراً له .

**والمبحث الرابع** . جعلته بعنوان "التقوم" وذكرت فيه الحكم على كل طريقة بما يناسبها . بلا محاباة أو مجافاة .

**والخاتمة** . وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث وبعد فإن هذه الدراسة محاولة جادة ومخلصة للنظر في موقف الطرق الصوفية من الجهاد في العصر الحديث من خلال رأي منصف وحكم عادل بعيداً عن المفاعلة والجمالة . فقد حان الوقت لأن تتجاوز حالات الانقسام الخطيرة في كثير من مشاكلنا وقضايانا . ونعود لنقول للمحسن أحسنت وللმسي أسئت .

**وأخيراً** لما زال لكلمات العماد الأصفياني صدى في أذني "إني رأيت أن لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن . ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر . وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" جعلنا الله من الذين يعملون فيعملون . ويعملون فيخلصون . ويخلصون فيقبلون .

فاللهم تقبل عملنا واجعله خالصاً لوجهك الكريم — وعلى الله تعالى سدينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الباحث

د/ علي إسماعيل الجدة

أستاذ م العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

— أهما ليلة الخميس ١٤٢٨/١٢/٣ هـ الموافق ٢٠٠٧/١٢/١٢ م

## تمهيد

لابد من بيان معاني المصطلحات الواردة في عنوان البحث لتوضيح المراد وفهم المقصود . وأول هذه المصطلحات :

١ — الطرق الصوفية : جاء في لسان العرب لابن منظور " الطريق " السبيل — تذكر وتوثت تقول : الطريق الأعظم . والطريق العظيم وكذلك السبيل . والجمع : طرق وطرق ..

والطريقة : السيرة . وطريقة الرجل : ملهه . يقال : مازال فلان على طريقة واحدة . أي على حالة واحدة . وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال . يقال هو على طريقة حسنة . وطريقة سينة . وقول لبيد أنشده شمر :

فإن تسهلوا فالتسهل حظي وطرفتي

وإن تحزنوا أركب هم كل مركب<sup>(١)</sup>

وفي المعجم الوسيط : أن الطريقة كالطريق : تكون في الحسي . الخط في الشيء . والأخذود في الأرض . وكل شيء ملزق بعضه ببعض أو بعضه فوق بعض . وفي المعنى : هو الحال والسيرة حسنة أو سيئة : وجمعها طرائق . ومن معاني الطريقة . الرجال الأشراف . وطريقة القوم : أمثالهم وخيارهم . أي الذين يجعلهم قومهم قدوة . ويسلكون طريقهم<sup>(٢)</sup> .

وقد أشارت آيات القرآن إلى استعمال الطريق والطريقة في المعنيين الحسي والمعنوي<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر لسان العرب لجمال الدين بن منظور ج ٥/٩٦ مادة طرق — طبع دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣ م .

(٢) انظر المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية ج ٢/٥٧٦ ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠ م .

(٣) من المعاني المعنوية قول الله تعالى : " إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً . إلا طريق جهنم ... الآية النساء آية ١٦٩ وقوله تعالى : " قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم " الآية الأحقاف آية ٣٠ وقوله :

ومقصودنا هنا المعنية .

### والطريقة هي الأسلاك :

لا نستطيع أن نقول إن هناك تعريفاً جامعاً مانعاً للطرق الصوفية كما يقول المنطقة — لأن الطريقة لم تستقر على معنى واحد منذ البداية وإلى النهاية كقاعدة ثابتة — وإنما تطور معناها مع تطور الزمان وتغير المكان . وإن كنا لا نعلم صورة جملة ترسم شكل الطريقة في إطارها العام . وهي كما يقول أحد الباحثين : " عبارة عن مجموعة من القواعد والرسوم التي يضعها المشايخ للمريدين للوصول إلى غاية معينة .. " (١)

وهذه الصورة الجملة حوت في مضمونها تطور معنى الطريقة . وهي في بدايتها الأولى على النحو التالي :

١ — يحظر الإمام التخيروء في وسائله الصوفية . أن الطريقة عبارة عن مجموعة الآداب والأخلاق والمعتقد التي يتمسك بها طائفة من الصوفية .

" إذ يقول أمثلهم طريقة إن لستم إلا يوما .. الآية " طه آية ١٠٤ للطريقة هنا مبنية والمعن أعد لهم قولا وأكملهم رأيا وأعلمهم عند نفسه . " انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ج ٦٥/٣ مكتبة الوشد الرياض . ط ١٤٢٤/٣ هـ — ٢٠٠٣ م وقوله في نفس السورة " قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أوطانكم مسحورهما ويضلها بضلالتكم الخلق . " طه آية ٦٣ ومعنى بطرقتكم . يعني سنحكم . قال الكسائي قول العرب : لأن على الطريقة الخلق يعنون على الهدى المستقيم " فتح القدير ج ٦٤/٣ . ومن الحسي قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام مع لونه " فاحزب لهم طريقاً في البحر يسا " طه آية ٧٧ والطريقة هنا لا تكون إلا محسوسة بدليل السابق واللاحق في الآية . وقوله " ولقد خلقنا لولكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين " المؤمنون آية ١٧ . وطرائق هنا جمع . ويقصد بها السماوات . وصيحت بذلك لأنها طوائف بعضها فوق بعض كمطارقة النمل . والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة . وقبل لأنها طرائق الملائكة " فتح القدير ج ١٥٠/٣ .

(١) انظر الموسوعة الصوفية (د) عبد الحميد الحفني ١٩٩٩ مكتبة مديوني بالقاهرة ط ٢٠٠٦ م .

ويذكر أيضاً — أن كلمة طريق — تعني منهج الإرشاد النفسي والخلقي الذي يربي به الشيخ مراده .

فيروى عن أبي علي الدقاق شيخه قوله " الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر . كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسها فهو عابد هواه لا يجد نقاداً " (١)

وفي الرسالة القشيرية أيضاً ما يوضح لنا أن أوائل الصوفية كانوا يستخدمون إلى جانب اصطلاحى الطريق — والطريقة — اصطلاح السلوك (٢) . أي السير في الطريق (٣) .

ويذكر الدكتور الشفازي صورة الطرق الصوفية في بداياتها الأولى : القرنين الثالث والرابع الهجريين " ويجعلها بمثابة المدارس القرية لتربية المريدين فيقول : " ومن ناحية أخرى نجد بعض شيوخ التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين كالجبلي والسري السقطي والحرّاز وغيرهم يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الإسلام التي كانت بمثابة المدارس التي يطلق فيها السالكون آداب التصوف علماً وعملاً " (٤) .

وتجديد نشأة الطرق الصوفية وبداياتها الأولى بالقرنين الثالث والرابع الهجريين ذهب إليه جماعة من الباحثين (٥) .

(١) الرسالة القشيرية للإمام القشيري ٢ ، ٣ ، ٧ ط القاهرة سنة ١٣٣٠هـ ومدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبو الوفا المنيني الشفازي ١٠٨ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ط ١٩٧٩م والطرق الصوفية في مصر د/ عبد النجار ١٩ دار المعارف القاهرة ط السادسة .  
(٢) انظر الرسالة القشيرية ١٨١ .

(٣) انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبو الوفا المنيني الشفازي ١٠٩ .

(٤) مدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبو الوفا الشفازي ١٨ .

(٥) انظر الحياة الروحية في الإسلام د/ محمد مصطفى حلمي ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢ ط القاهرة وتاريخ التصوف في الإسلام د/ قاسم غني ٦٤٩ — ٦٥٠ ترجمة صادق نشأت ومراجعة د/ أحمد القيسي و د/ مصطفى حلمي ط مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة وفلسفة الحياة الروحية د/ مقداد باجلي ٩٤ دار

ويذهب جماعة آخرون إلى أن تاريخ النشأة أقدم من ذلك — ويرون أن نشأة الطرق الصوفية ترجع إلى القرن الثاني الهجري<sup>(١)</sup> ويذكر أن الذين يقولون بالنشأة الغاية لم يفرقوا بين التصوف والطرق الصوفية، فالتصوف بدأ في هذه الفترة والطرق الصوفية تأخرت عنها . وربما كانت حجتهم في ذلك اتفاق البدليات . فالتصوف أخلاق وسلوك والطرق الصوفية كذلك .

٢ — وفي القرن الخامس المديني نجد الإمام الغزالي في ٥٥٥هـ يفهم الطريق على نحو لا يختلف كثيراً عن النحو الذي ذكره الإمام القشيري ت ٤٦٥هـ وأبو طالب المكي ت ٣٨٦هـ فيقول " الطريق عبارة عن تقديم الجاهدة ونحو الصفات الملمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكلف له بتوجيهه بأنوار العلم . وإذا تولى فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر . وانكشف له سر الملكوت . وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلاذأت فيه حقائق الأمور الإلهية ...<sup>(٢)</sup>

وبعني الإمام الغزالي كمن سبقه بيان قواعد السلوك على نحو متصل . مثل علاقة المريد بالشيخ وقواعد العزلة والخلوة والذكر وما إليها . وهو يصف مقامات السلوك وأحواله على اختلافها في كتبه التي ألفها في التصوف وعلى الأخص — إحياء علوم الدين<sup>(٣)</sup> .

عالم الكتب للنشر والتوزيع ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م والطرق الصوفية في مصر د/ عامر النجار ٦٠ دار المعارف القاهرة ط السادسة .

(١) انظر التصوف في مصر أمان العصر العثماني د/ توفيق الطويل ٧١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م وأضواء على الطرق الصوفية في القاهرة الأقبالية د/ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ١٣ مكتبة مديولي القاهرة ١٩٨٩م .

(٢) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ١/٣ دار إحياء الكتب العربية القاهرة وميزان العمل له ٤٥ مكتبة الجندي القاهرة د/ت .

(٣) انظر الطرق الصوفية في مصر د/ عامر النجار ١٩ .

وهذا الكتاب بأقسامه الأربعة " العبادات والعبادات والمهلكات والمنجات " في نظري يعتبر وصفاً دقيقاً لطريق السالك إلى الله تعالى من البداية إلى النهاية فغاية الطريق الصوفي عند الإمام الغزالي كما يقول الدكتور التفتاوي " الترقى الخلقى بالجاهدة للنفس - وإحلال الأخلاق المحمودة محل الأخلاق المذمومة حتى يصل السالك إلى المعرفة بالله . فمدار الطريق عنده إذن على الخلق <sup>(١)</sup> .

فمعنى الطريق في القرن الخامس الهجري عند الغزالي لا يختلف عن معناه في القرنين السابقين .

### ٢ - معنى الطريقة في القرن السادس والسابع الهجري .

إذا انتقلنا إلى هذين القرنين وجدنا أن الطريقة عبارة عن نظام من الرياضة الصوفية المنظمة التي تميز كل طريقة عن الأخرى . ولذلك وصفها د/ فليب حتى بالهيئات الصوفية المنظمة <sup>(٢)</sup> .

يقول الدكتور كامل الشبي " وقد وصفت الطرق الصوفية وأركانها القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ٥٦٦ هـ - ١١٦٦ م بالهيئات الصوفية المنظمة .

واختلفت الآراء في بدايتها . وقيل في نشأة أوائها : إن بعضها أسس قبل الغزو المغولي في أوائل القرن السابع الهجري " الثالث عشر الميلادي " <sup>(٣)</sup> ويقول الدكتور / سعد الدين صالح " وإذا بحثنا في أصل نشأة هذه الطرق نجد أنها ترجع إلى القرن السابع الهجري غير أن منها طريقة واحدة ظهرت بدورها في

١) مدخل إلى الصوف الإسلامي د/ التفتاوي ١٦٩

٢) النظر تاريخ العرب د/ فليب حتى ج ٥٢٥/١ بواسطة الصلة بين الصوف والشيعة د/ كامل الشبي ٤٤٢ وتأسيس الأشخاص في الفكر الصوفي د/ محمد أحمد لوح ج ٢٤٣/١ دار الهجرة - الرياض - السعودية ط ١٤١٦/١ هـ - ١٩٩٦ م .

٣) النظر صفحات مكتبة من تاريخ الصوف الإسلامي د/ كامل مصطفى الشبي ١٧٣ ، ١٧٤ دار الفاهل بيروت لبنان ط ١٤١٨/١ هـ - ١٩٩٧ م .

القرن السادس الهجري — وهي الطريقة التي أسسها الشيخ أحمد الرفاعي .  
والرفاعي مات في أواخر القرن السادس الهجري . ودفن حيث مات في العراق <sup>(١)</sup>  
" ويقول أيضاً " إن مسألة الطرق لم يكن لها وجود في عصر الرسول (ﷺ) ولا في  
عصر الخلفاء الراشدين... ولم تظهر بصورة واضحة إلا في القرن السابع الهجري <sup>(٢)</sup>  
وكلامه محمول على معنى الطريق المتداول والمصطلح عليه الآن .

ولي هذه الفترة التاريخية ظهرت فكرة الأقطاب يقول الدكتور الفتازلي " إن  
هذين القرنين شهدا ظهور أقطابه واستمر بعد ذلك عند أفراد من متفلسفة الصوفية  
حتى عصر ليس بعيد <sup>(٣)</sup> .

ويقول أيضاً " إن هذين القرنين قد شهدا أيضاً استمراراً للتصوف السني عند  
الإمام الغزالي وازدهاراً له وانتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي على أيدي شيوخ  
الطرق الصوفية الكبار " <sup>(٤)</sup> .

والحقيقة أن لم يظل على سنته كاملاً كما يقول الدكتور الفتازلي بل شابه  
بعض البدع والمخالفات <sup>(٥)</sup> .

ومن الطرق التي ظهرت في هذين القرنين القادرية والأكبرية — والرفاعية .  
والشاذلية والسهروودية . والأحمدية . والبرهانية . والعريية أو البدوية وغيرها كثير  
في العالم العربي والإسلامي <sup>(٦)</sup> .

(١) انظر مشكلات التصوف المعاصر د/ سعد الدين السيد صباغ ٨٧ دار المعارف القاهرة ط  
١٩٩٣ م .

(٢) السابق ٨٩ .

(٣) انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي ١٨٧ .

(٤) السابق ٢٣٥ .

(٥) انظر الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د/ عبد الله بن وحين السهلي ١٢ ، ١٣ دار كنوز  
إشيليا للنشر والتوزيع الرياض ط ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م .

(٦) انظر الحياة الروحية إشيليا في الإسلام د/ محمد مصطفى حلمي ١٩٢ ، ١٩٣ ط الطبعة العامة  
المصرية للكتاب القاهرة ط ١٩٨٤ م والمدخل إلى التصوف الإسلامي ٢٣٦ — ٢٤٥ .

وبعضنا المذكور الشبي أمام تميز واضح بين الطرق في القرن السادس الهجري السابقة واللاحقة فيجعل ما تقدمه القرن السادس الهجري فرق وما لحقه طرق أو بمعنى أوضح بين التصوف النظري والعملي فيقول بعد أن ذكر الذين جعلوا التصوف كفرق — وهم السراج ومحمد الزدوي والرازي — وتطبيقاً لهذه النظرية من تقسيم المتصوفة إلى فرق وطرق نستطيع أن نربط أصحاب الاتحاد والحلول ووحدة الوجود من الصوفية بالتقسيمات الصوفية المتعلقة بالفرق . ولجعل التطبيقات العملية التي نادى بها شيوخ التصوف اعتباراً من القرن السادس الهجري مبادئ تكون ملامح الطرق الصوفية — وبمعنى آخر فإن ما يتصل بالمبادئ النظرية من التصوف يتفرع تحت اسم الفرق . وما يتفرع عن التطبيقات العملية ينطبق على مفهوم الطرق " (١) ثم يقول " على أننا ينبغي أن نلاحظ أن الفرق قد توفقت نحوها إلا على صورة فردية تمثل في آراء شخصية تلوح في كل فترة دون أن يكون لها خطراً وإهمية على عكس الطرق التي صاغت القالب الذي ينصب منه تجمع الصوفية على صورة من الصور (٢)

والخلاصة أن التصوف تطور من الفرق إلى الطرق وأخذ مفهوم الطريقة السيطرة شبه الكاملة حتى غدا لكثير من الناس لا يعلم التصوف إلا من خلال الطرق الصوفية .

#### ٤ — معنى الطريقة في القرن الثامن والتاسع الهجري .

تحول معنى الطريقة في هذا القرن إلى معنى سياسي . وذلك باستغلال أصحاب الطرق لفكرة المهدي لدعم حركتهم بهدف الوصول إلى الحكم وإقامة نظام حواري ينظم الحياة المادية كتنظيمه للحياة الروحية (٣) .

(١) انظر صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي د/ كامل الشبي ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) السابق ١٧٣ .

(٣) انظر صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي د/ كامل الشبي ١٧٦ ، ١٧٧ .



وقد ذكر الدكتور الشبي قاذج على ذلك بيد العالم تقتصر على القرن الثامن والتاسع الهجريين بل تعداه إلى غيرها من القرون . يقول ومن هذه الطرق — الطريقة النوربخشية الإيرانية التي اتصل بمحمد بن عبد الله الإحساني الملقب بـ « نوربخش »<sup>(١)</sup> .

ومن الحركات الصوفية القائمة على فكرة المهدي المنتظر — الفرة التي قام بها محمد بن فلاح الموسوي الواسطي في منتصف القرن التاسع الهجري " الخامس عشر الميلادي " <sup>(٢)</sup> وكذلك الحركة المهدية التي نشأت في السودان على يد الزعيم الصوفي العلوي — محمد بن أحمد بن عبد الله المهدي <sup>(٣)</sup> في نهاية القرن الثالث عشر الهجري " التاسع عشر الميلادي " والذي اعتبر نفسه المجدد الإسلامي على رأس القرن والمهدي المنتظر الذي تبأت الملاحم بظهوره في نهاية العالم <sup>(٤)</sup> .

#### ٥ — معنى الطريقة عند القرون المتأخرة .

الطريقة في القرون المتأخرة — عبارة عن مجموعة من أفراد الصوفية يتسبون إلى شيخ معين ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي ويحسون حياة اجتماعية في

(١) ولد نوربخش سنة ٨٢٨ هـ — ١٤٢٤ هـ وتوفي سنة ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ هـ وكان مدار دعوته على أنه المهدي المنتظر الذي يؤمن به الصوفية برصفه عام الأنبياء ... وقد اعتمدت الدعوة النوربخشية على منهج إهرافي واضح مبني على الأفكار الفلسفية والكلامية ولكنها توجهت إلى إسباغ صفة الإنسان الكامل للقرن باعتبار روعي على هذه الطريقة " انظر صفحات مكتبة ١٧٧ والموسوعة الصوفية د/ عبد النعم الحفني ١١٢٠ .

(٢) اعتمدت هذه الحركة على فكرة الإنسانية الكاملة وخصم الأولياء على منهج شيعي قال يعتقد في حلول روح علي بن أبي طالب باعتباره مثلاً للقوة الإلهية وقد تخطت الدولة الصوفية " يراف " على زعماء هذه الطريقة في بداية القرن العاشر الهجري . انظر صفحات مكتبة ١٧٧ .

(٣) ولد في جزيرة ليبيا جنوب دنقلة عام ١٢٦٠ هـ — ١٣٠٢ هـ ، ١٨٤٥ م — ١٨٨٥ م حفظ القرآن وتعلم على الشيخ محمود الشنيطي له جهود سياسية كبيرة أعلنه قيام دولة السودان الحديثة وسياتي الحديث عنه موسماً في الفرق التي قاومت المستعمر .

(٤) صفحات مكتبة ١٧٨ .

الزوايا والربط والخانقافات أو يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم والمذكر بانتظام<sup>(١)</sup>.

ويوضح الشيخ أبو بكر الجزائري : العلاقة القائمة بين الشيخ والمريد فيقول " إن الطريقة تعني اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حياً وميتاً . وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ وهذا العقد يعرف بالعهد . وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة متى ناداه مستغيثاً به . كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة . ويتعهد الطرف الثاني . وهو المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بالزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق<sup>(٢)</sup> .

ولو كانت الطرق كلها على هذا النحو لكانت بدعة . ولكن هناك كثير من المجهود تقوم على التوبة والاستقامة والصلاح . ولذلك يقول الدكتور / عامر النجار " انتهت الطرق الصوفية إلى أن أصبحت عهداً بين شيخ ومريد على التوبة والاستقامة<sup>(٣)</sup> .

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية " أن الطريقة الصوفية انتهت في العصور المتأخرة إلى بيعة بين الشيخ والمريد<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر مدخل إلى الصوف الإسلامي د/ الطنطاوي ٢٣٥ ، ٢٣٦ والطول الصوفية في مصر له أيضا ١٩ وسأل المجلس الأعلى للطرق الصوفية شوا مصر ١٩٩١م والطول الصوفية عامر النجار ٢١/٢٠ .

(٢) انظر إلى الصوف يا عباد الله الشيخ أبو بكر الجزائري ١١ مطبعة المدني ط ١ / ١٤٠٨ — ١٩٨٧م وتطهس الأشخاص في الفكر الصوفي د/ محمد أحمد لوج ج ١ / ٣٤٤ .

(٣) انظر الطرق الصوفية د/ عامر النجار ٢١ .

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية مجموعة من المستشرقين م . ت . هونسم ، و . برونولد ، و . ماسيت . هارتمان . إمداد و تحرير لجنة من العلماء بإشراف الأستاذ إبراهيم زكي عورشد وزملائه ج ٢٢ / ٩٨٤٨ مركز الشارقة للإبداع الفكري ط ١ سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٨م .

فالمعهد والبيعة لم يكونا موجودين لدى أرباب الطرق الصوفية في القرون المتقدمة وأصبحا شرطاً إلزامياً للسالك — أو المريد في القرون المتأخرة .

وأصبحت الطرق في القرون المتأخرة من الكثرة بمكان — وقد أحصى أحد الباحثين الطرق الموجودة الآن بنحو ثلاثمائة طريقة <sup>(١)</sup> .

وذكر أحد الضررين تحقيقاً في جريدة أخبار اليوم المصرية جاء فيه " في مصر ٦٦ طريقة صوفية وثلاثة ملايين درويش يشكلون عالمًا غريباً يعيش بيننا " <sup>(٢)</sup>

وهذه إحصائية قديمة ومن أراد الوقوف على العدد الحقيقي للطرق الصوفية فليراجع مجلة التصوف الإسلامي .

وهذه الطرق تتميز فيما بينها بحسب غاياتها ومقاصدها وللسفاتها . بل إن الطريقة الواحدة تختلف من شخص إلى شخص ومن مكان إلى مكان آخر

والخلاصة أن الطريقة استقرت على ألفا مجموعة من الرسوم والقواعد يضعها مشايخ كل طريقة بحيث تختلف عن غيرها من رسوم وقواعد الطرق الأخرى <sup>(٣)</sup>

وفيها بداية فردية وانتهت جماعية . بدأت بعلاقة خاصة يتجه فيها السالك إلى الله ثم انتهت بمعهد أو بيعة بين الشيخ والمريد .

### ثاني هذه المسلمات : البهادر

ومعناه في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور مادة " جهَدَ "

" الْجَهْدُ — وَالْجُهْدُ — الطاقة : تقول : اجتهد جَهْدَكَ — وقيل : الجَهْدُ : المشقة : ... وَجَاهَدَ العدو — مجَاهَدَةً وَجَهَاداً : قاتله : وَجَاهَدَ في سبيل الله — وفي الحديث : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية . الجهاد : محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل . والمراد بالنية إخلاص

(١) انظر الموسوعة الصوفية د/ عبد المصم الحفني ١٩٩٣ .

(٢) انظر جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٧١/١٢/٢٥ ومكتاب العقيدة والقوة مع الأستاذ محمد عبد

الله السمان ٣٠٠ دار الخيل بيروت لبنان ١/ ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

(٣) انظر الموسوعة الصوفية د/ عبد المصم الحفني ١٩٩٣ .

العمل لله . أي إنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها قد صارت دار إسلام وإنما هو الإخلاص في الجهاد وتحال الكفار .

**والجهاد:** المبالة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء .  
وفي حديث الحسن : لا يَجْتَهِدُ الرجلُ ماله ثم يَتَعَدُّ يَسْأَلُ الناس . قال النظر : قوله : لا يَجْتَهِدُ الرجلُ ماله . أي يعطيه ويفرقه جميعه ها هنا . ومنها قال الحسن ذلك في قوله عز وجل "يسألونك ماذا ينفقون قل العفو" <sup>(١)</sup> أهـ  
**فالمصاحف في اللغة :** محاربة الأعداء مطلقا ويكون ذلك بهذا الطاقة واستفراغ ما في الوسع .

**ولي الشرع :** يدور معناه عند أغلب الفقهاء من أهل المذاهب على قتال المسلم للكافر بعد دعوته للإسلام وإيمانه .  
فعرفه الأصناف بأنه بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك . أو المبالة في ذلك <sup>(٢)</sup> وبأنه "الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله" <sup>(٣)</sup> .

وعرّفه المالكية بأنه "قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لأعلاء كلمة الله تعالى" <sup>(٤)</sup> .  
وعرّفه الشافعية بأنه "قتال الكفار لنصرة الإسلام ويطلق على جهاد النفس والشيطان والمراد هنا الأول . وترجمه في التنبه بقتال المشركين" <sup>(٥)</sup>

(١) انظر لسان العرب لجمال الدين بن منظور ج ٢٤١/٢ دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م

(٢) انظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ج ٤٢٩٩/٩ مطبعة الإمام بالقاهرة .

(٣) حاشية رد المحتار . أحمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في لغة أبي حنيفة ج ١٢٩/٤ ط مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر وفتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد بن المصطفى ج ٤٣٦/٥ ط مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر .

(٤) انظر الشرح الصغير على أقرب المسام الشيخ أحمد بن محمد الدردير ج ٢٩٧/٢ دار المعارف القاهرة .

(٥) انظر حاشية الشرفاوي على تحفة الطلاب لزكريا الأنصاري — الشيخ عبد الله الشرفاوي ج ٣٩١/٢ مطبعة الحلبي القاهرة ١٣٦٠هـ — ١٩٤١م .

وقال الباجوري : الجهاد : أي القتال في سبيل الله مأخوذ من الجهادة وهي المقاتلة لإقامة الدين — وهذا هو الجهاد الأصغر — وأما الجهاد الأكبر فهو مجاهدة النفس فلذلك كان رسول الله ﷺ يقول : رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر <sup>(١)</sup> وسيأتي الرد على ذلك بالتفصيل . وعرفه الحنابلة بأنه قتال الكفار <sup>(٢)</sup> .

وبالتأمل في هذه التعريفات كلها نجد أنها مصفة على أن الجهاد شرعاً يراد به قتال المسلم للكافر غير المعاهد لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه — وزاد الأحاف " الدعاء إلى الدين الحق " وهو قيد لابد منه . لأن النصوص الشرعية دلت عليه وعدم ذكره في بقية التعاريف لوضوحه ولكونه معلوماً فلا يكون القتال إلا بعد الدعوة والامتناع عن قبولها <sup>(٣)</sup> .

وكلمة الجهاد إذا أطلقت يراد بها المعنى المتقدم . ولا تنصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على ذلك <sup>(٤)</sup> كما يقول ابن رشد القبة المالكي " إن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق . فلا يقع بإحلاله إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " <sup>(٥)</sup> .

(١) انظر حاشية الباجوري هي خرج ابن قاسم الغزي على مختصر أبي حنيفة — الشيخ إبراهيم الباجوري ج ٢/٢٦٨ مطبعة بولاق القاهرة ١٣٠٧هـ — والفتاوى للشيخ أحمد عيسى عاشور ٣٢٧ مكتبة القرآن القاهرة ١٩٨٤م وراجع آثار الحرب في الفقه الإسلامي د/ وهبة الزحيلي ٣٣ دار الفكر دمشق ط ٣/١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .

(٢) انظر منتهى الإرادات لفتي الدين محمد بن أحمد القروني الحنفي الشهير بابن النجار ج ١/٢٢٨ ت الشيخ عبد المنعم عبد الحلق — عالم الكتب بيروت لبنان ط ٢ سنة ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م .

(٣) انظر الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته د/ عبد الله أحمد القادري ج ١/٤٩ دار المنارة جدة السعودية ط ٢/١٤١٣هـ — ١٩٩٢م .

(٤) انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة له د/ علي بن مطيع العلواني ١١٧ دار طيبة للنشر والتوزيع السعودية ط ٤/١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م .

(٥) انظر المقدمات المهمات لبان ما التفتت رسوم الدولة من الأحكام الشرعية لابن رشد ج ١/٣٦٩ دار صادر بيروت لبنان دات .

وحكم الجهاد دائر بين فرض الكفاية والعين . ولكل حكم ما يناسبه من أحوال المسلمين . فإذا كانوا في قوة ومنعة وعزة كان الأول . وإذا نزل بهم الأعداء واحتلوا أرضهم وبلادهم كان الثاني . وقد يعبر عن الأول بجهاد الطلب وعن الثاني بجهاد الدفع<sup>(١)</sup> .

وحكى البائري الإجماع على فرض العين فقال " وأما العينية في التغير العام للإجماع لأنه من إغالة الملهوف والمظلوم<sup>(٢)</sup> " .

وتعبر الفقهاء بفرض العين هو ما أكدته القانون الدولي العام الذي يتضمن الدفاع عن الدولة ضد أي تدخل أجنبي . وجعل من حقها المجاهدة والمقاومة حتى تنال استقلالها . والفرق بينهما أن القانون يستمد أصوله من القرب أما حكم الفقهاء فهو من صميم الإسلام . ناهيك بالأسبقية<sup>(٣)</sup> .

**ثالثاً هذا المصطلح ، العصر الحديث .**

اختلفت كلمة العلماء والباحثين في تحديد بداية العصر الحديث . تبعاً لاختلاف منهجيتهم في الكتابة من ناحية . ولتقييمهم للحوادث التاريخية الكبرى من ناحية أخرى .

فبعضهم يرى أن العصر الحديث يبدأ بتولي محمد علي حكم مصر عام ١٨٠٥ م .

وبعضهم يرى أنه يبدأ بسقوط الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ م على اعتبار أنه من أكبر حوادث العصر ولواقع الدهر .

(١) انظر أهمية الجهاد على من يعص الطائفتين ١٢٤ - ١٣٥ .

(٢) انظر العناية على الهداية محمد بن محمود البائري يماضي شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي ج ٤٠/٥ وأهمية الجهاد ١٣٤ .

(٣) انظر الجهاد في الإسلام قديماً وحديثاً للمستشرق الهولندي رودلف بوز ١٢٩ مركز الأهرام للترجمة والنشر والتوزيع القاهرة ط ١/١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

ويرى الدكتور شوقي أبو خليل أن بداية العصر الحديث ترجع إلى تاريخ أقدم من ذلك . ويؤرخ له بفتح القسطنطينية سنة ١٤٣٥م فيقول " تبدأ الأعصر الحديثة بفتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م <sup>(١)</sup> .

ولم يستطع أحد الجزم والقطع بالبداية . لأن هذه منهجيات مختلفة ووجهات نظر متباينة . وما يراه مؤرخ حدث هام . يراه آخر لا يمثل هذه الأهمية . وإذا كان الإنسان في خاصة نفسه لا يستطيع الجزم والقطع في مراحل عمره — الطفولة — والشباب والشيخوخة . فما بالك بالعصور التاريخية التي تملأ تاريخ البشرية .

والعصر الحديث الذي نقصده هو ما كانت أحداثه التاريخية محصورة في القرنين التاسع عشر والعشرين . وهذا التعديد لا يخرج عن الفترة التي ذكرها العلماء والباحثون . لأن هذه الفترة التاريخية . هي الفترة التي ميت فيها البلاد العربية بالأحداث الجسام والمصائب العظام . من أهمها سقوط الخلافة الإسلامية . والاستعمار الغربي . الذي تعاني منه البلاد إلى

يومنا هذا وقد استطاع هذا الاستعمار أن يسيطر على معظم البلاد العربية فرفقت الجزائر والمغرب وتونس . ومصر والسودان . وليبيا . والعراق والأردن . تحت قبضة الفرنسيين والإيطاليين والبريطانيين <sup>(٢)</sup> .

" ووجد أبناء هذه البلاد أنهم هدف هذه الغزوات الاستعمارية التي جاءت لاحتلال أراضيهم . واستعمار أوطانهم . وتدمير حضارتهم . فكان لابد من التصدي دفاعاً عن كسوف الإسلام . وكلمة التوحيد . وصار الجهاد أمراً محتماً . ومطلباً فرعه الله على المسلمين الذين أحسوا غزو ديارهم . وتحطيم مقدساتهم وتدنيس حضارتهم الزاهية عبر العصور . من هنا شهدت هذه البلاد ملاحم بطولية

(١) انظر في التاريخ الإسلامي د/ شوقي أبو خليل ٩ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ — ١٩٩١م .

(٢) انظر الاستعمار في العصر الحديث وفوائده المنية د/ مناد بن عمرو السقاء . مكة المكرمة . الحرم ١٤٢٧هـ . . Mengi a Mek toab . Cam .

حقق المسلمون فيها انتصارات باهرة على جيوش الأوربيين المدججة بأحدث الأسلحة وفنون الحرب الحديثة . وسجل المسلمون على أرضهم مجازاً لا فيل لها في تاريخ الحضارات <sup>(١)</sup> . وأجبروا الأوربيين على الرحيل محترفين بحرية البلاد واستقلالها .

إن هذه الفترة التاريخية " فترة العصر الحديث " موضوع بحثنا من أشد الفترات التاريخية وأصعبها على البلاد العربية والإسلامية ولذا كانت المقاومة هي الرد الطبيعي لهذا العدوان الفاسم .

صحيح لم تكن المقاومة في هذه الفترة التاريخية . من الطرق الصوفية وحدها . وإنما كانت عامة . إلا أن الطرق الصوفية — كان لها الدور الأكبر في هذه المقاومة — حتى استطاعت أن تؤسس دولاً وتنشأ إمبراطوريات لا تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا — كما سيأتي في ثنايا هذا البحث .

رابع صفة المصلحة — التقوية — مأخوذة من الفعل قَوَّى .

يقول الرازي " والقيمة واحدة القيم . وقَوَّى السلعة تقويماً " يعني قوتها " وأهل مكة يقولون " استقام السلعة " وهما بمعنى واحد <sup>(٢)</sup>

وإذا كان الفعل قَوَّى في اللغة يستعمل في الخسائر فإننا نستعمله في المنصوبات — ونعني به تقدير الأمر وبيانه والحكم عليه بالاستقامة وعدمها

والأنسب لموضوع بحثنا — لفظ " القويم " دون " القيم " لصحة الأول وخطأ الثاني . ولذلك قلنا " دومة غوذجية وتقويمه " ولم نقل تقيمه وقد ألفت

(١) انظر المسلمون والامتصار الأوربي لأفريقيا د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم ١٠ ، ١١ سلسلة عالم المعرفة — الكويت ع ١٣٩ ذر القعدة ١٤٠٩ هـ — يوليو ١٩٨٩ م .

(٢) انظر مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٥٥٧ دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط ١ سنة ١٩٦٧م والصحاح في اللغة والعلوم — معجم وسيط — تجديد صحاح العلامة الجوهري إعداد وصديق للدم مرعشلي وأسام مرعشلي ١٩٦٦ دار الحضارة العربية بيروت لبنان ط الأولى ١٩٧٥ م .



هذه المعلومة من الشيخ علي الطنطاوي وهو يتحدث عن كتاباته الأولى التي لا يرتضيها فيقول " ولكن ما قيمته حكم الإنسان على عمله ومدى صحة تقويمه إياه.. " (١) وجاء التعليق في أسفل الصفحة . تقول تقوم — ولا تقل تقيم — فإن التقيم غلط — وأصلها — قام — أي قوم (٢)

---

(١) انظر ذكريات الشيخ علي الطنطاوي ج ١ / ٢٧٠ دار الحارة للنشر والتوزيع جدة السعودية ط ٢ /

سنة ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠١ م .

(٢) السابق ٢٧٠ هامش (١) .

## المبحث الأول

### "الطرق الصوفية وأدلة الجهاد"

دعا القرآن إلى الجهاد وجعله فرحاً على المسلمين في آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَخْشَوْا إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١) وفي الأنفال ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (٢) وقوله ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِلِينَ فَرْجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣) {٩٥} وقوله ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤) {٧٤} وقوله في آيى التحريم والعوبة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٥) {٩} وقوله ﴿وَأَقْرَبُوا عِزًّا وَتَقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦) {٤٩} وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧) {٢٥}.

إن هذه الآيات وغيرها تدل على فورية الجهاد ومشروعيته بالفاظ مختلفة وأساليب متعددة تارة بالجهاد وتارة بالقتال وثالثة بالنفير — شجداً للهمم وتطويه

(١) البقرة آية ١٩٠.

(٢) الأنفال آية ٣٩.

(٣) النساء آية ٩٥.

(٤) النساء آية ٧٤.

(٥) التحريم آية ٩ والعوبة آية ٩٩١.

(٦) التوبة آية ٤٩.

(٧) المائدة آية ٣٥.

للعزائم وإيقاظاً للنفوس — حتى تحصل الغاية ويتم المراد وينتشر الإسلام ليعم نوره الأفاق .

كما وردت في السنة أدلة كثيرة أيضاً — وقل أن تجد كتاباً من كتب الفقه أو من كتب الحديث أو التفسير قديماً أو حديثاً إلا وفيه كتاب عن الجهاد أو باب فيه — من ذلك — ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال — قال رسول الله (ﷺ) رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد<sup>(١)</sup> .

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال — جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال دني على عمل يعدل الجهاد . قال لا أجده . قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تقعد وتصوم ولا تفطر ؟ ومن يستطيع ذلك يا رسول الله ؟ قال أبو هريرة إن فرس المجاهد ليسن في طوله<sup>(٢)</sup> فيكتب له حسنات<sup>(٣)</sup> .

وعنه أيضاً عن النبي (ﷺ) قال : انتدب الله من خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصلق برسلي أن أوجهه بما نال من أجر أو غنمة أو أدخله الجنة . ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أن تقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل<sup>(٤)</sup> .

وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال — قال رسول الله (ﷺ) لعدوة في سبيل الله أو روحه خير<sup>(٥)</sup> من الدنيا وما فيها — وفي رواية من حديث أبي هريرة " خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب "<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢/٧٦ ولأن على شرط الشيخين والله الأدهي .

(٢) أي يذهب ويحرق في مرج ونشاط وهو مربوط في حبله ، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١/٥ الطبعة السابعة القاهرة .

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٨٥ فتح ٤/٦ ومسلم ١٤٩٨/٢ .

(٤) أخرجه البخاري ٣٦ فتح الباري ٩٢/١ ومسلم ١٤٩٧/٣ .

(٥) البخاري ٣٧٩٢ ، ٣٧٩٣ ، فتح الباري ١٣/٦ ومسلم ١٤٩٩/٢ .

وهذه الأحاديث وغيرها تدل في مجملها على مشروعية الجهاد وبينان فضله — وقد فهم منها الصوفية في عصرنا الحديث — أنما للجهاد الأعداء لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه — وطبقوا ذلك تطبيقاً عملياً في كثير من بلاد العالم الإسلامي .

وحدثنا التاريخ عن غاذج من رجال الطرق الصوفية جاهدوا الأعداء وقاموا المستعمر وأذاقوه الويلات حتى تحقق لهم النصر والاستقلال — في مصر وليبيا والمغرب والجزائر والصومال وغيرها — من أمثال القائد والزعيم أحمد عرابي — وعمر المختار والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي — والأمير عبد القادر الجزائري<sup>(١)</sup> — ومحمد بن عبد الله حسن — ومحمد أحمد المهدي وغيرهم .

وظهر جهادهم من خلال المهجمة الأوروبية الاستعمارية الشرسة على بلاد العالم الإسلامي فسطروا أروع آيات الكفاح التي قصت بتخليدهم في صفات التاريخ .

تأمل الكلمات التي أجاب بها الشيخ عمر المختار — وهو صولي كبير على الجنرال الإيطالي غراسياني — بقول غراسياني " لمانا حاربت بشدة متراصلة حكومتنا .. قال عمر لأن ديني يأمرني بذلك ... فيقول له ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه ؟ قال عمر لا شيء إلا طردكم من بلادكم لأنكم مختصون — أما الحرب — الجهاد — فهو فرض علينا . وما النصر إلا من عند الله ... " <sup>(٢)</sup>

ويقول غراسياني معترفاً بجهاد الرجل الذي يدل على إيمانه وصدق " إن كلامه عن الدين والجهاد يدل بكل تأكيد على أنه مؤمن صادق . يتكلم عن الدين بكل حماس وتأثر .. " <sup>(٣)</sup>

(١) الطرق الصوفية في القارة الإفريقية د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم ط دار الثقافة بالقاهرة ط ٢٠٠٤م .

(٢) انظر الشيخ الجليل عمر المختار نشأته وأعماله واستشهاده د/ علي محمد الصلاحي ٨٩ ، ٩٠ المكتبة المصرية — صيدا بيروت لبنان ط ٢٠٠٧م / ١ — ١٤٢٧هـ .

(٣) السابق ٩١ ، ٩٢ .

إن هذا القائد العظيم والصوفي الكبير انطلق في جهاده للإيطاليين من خلال عقيدته وإيمانه بكتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) اللذان يدعوان إلى الجهاد يقول الأستاذ حسني أدهم جرار " كان ولياً من أولياء الله .. وأتم الشباب وإن تقدمت به السن . تتدفق الثورة والحرازة من قلبه رغم شيخوخته ... وتلك طبيعة المجاهدين في سبيل الله الذين يحشون الله ولا يحشون أحدًا غيره " (١) .

وبالرغم من عداوة غراسباتي له لم يمنعه ذلك من وصفه بأنه قدسي (٢) وفي فلسطين يأتي عز الدين القسام — الصوفي الأزهري الذي ظل يجاهد الإنجليز حتى استشهد . يقول له حاكم لواء حيفا — وهو من الإنجليز ... يا شيخ إنك متحرك وقد نشط مناوى لنا . فرد عليه الشيخ قافلاً بعد أن أخرج المصحف من جيب جيبته . هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا يخالفه (٣)

وهذا هو الفهم الصحيح والسليم الذي تدل عليه آيات القرآن وأحاديث السنة — وفي مقابل هذا الفهم جتح جماعة من الصوفية إلى القول بأن المقصود بالجهاد هو جهاد النفس . واحتجوا على ذلك بما روى في الخبر أن رسول الله (ﷺ) قال حين رجع من بعض غزواته " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " (٤) وهذا الخبر ذكره السهروردي محتجاً به وكذلك الشيخ إبراهيم الباجوري في حاشيته على شرح ابن قاسم الغزي (٥)

(١) انظر القدوة الصالحة أخلاق قرآنية ومخارج ربانية الأستاذ حسني أدهم جرار ١٧٣ دار القضاء للنشر والوزيع الأردن ط ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

(٢) انظر عمر المعاصر د/ علي محمد الصلاحي ٩١ .

(٣) انظر ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني — عوني الميمني ٢١ مكتبة الثورة البرقاء الأردن — د/ت .

(٤) انظر عتوف المعارف للإمام السهروردي ٨٢ ملحق بإسماء علوم الدين للإمام الغزالي الجزء الخامس دار المعرفة بيروت لبنان د/ت .

(٥) انظر حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي للشيخ إبراهيم الباجوري ٢٩٨/٢ مطبعة بولاق القاهرة ١٣٠٧ هـ .

ومن المعاصرين من زعم اتفاق العلماء على أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر فقال " اتفقت كلمة علماء المسلمين وفقهائهم على تسمية جهاد النفس والشیطان بالجهاد الأكبر وجهاد الأعداء بالجهاد الأصغر . ثم ذكر كلام الشيخ الياقوتى المتقدم <sup>(١)</sup> .

فالمسألة تعدت فهم الصوفية المعاصرة إلا اتفاق العلماء والفقهاء على ذلك . بل عداها الصوفية إلى تقديم جهاد النفس على جهاد العدو . يقول الأستاذ شفقة " وأرغمهم — أي أوهم الصوفية بالمسلمين — أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس وهو مقدم على مجاهدة العدو " <sup>(٢)</sup> .

وروجدنا الخزنوية وهي طريقة صوفية معاصرة — ومؤسسها هو أحمد بن مراد الخزنوي ترى أن الجهاد إذا أطلق لا يراد به الإجهاد النفسي فقط ولذلك لم يشاركوا في أي معركة جهادية ضد أعداء الأمة — حتى إنه في حرب العراق — شارك الكثير من أهل الجزيرة " موطن الخزنوية " في الجهاد باستثناء أتباع الخزنوية . بل إن فيهم بمهمة الخادعة لبط الكثير من أتباعه الذين ثارت في نفوسهم إشارة من حجة فقال لهم : إن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس <sup>(٣)</sup> كما تقدم .

ولما وجد الصوفية أنهم لا محالة في صدام مع الآيات القرآنية التي تدعوا إلى مجاهدة الأعداء — لم يرددوا في تأويلها فحوات تأويلاتهم بعدة ومستكرة وتفسيراتهم غريبة <sup>(٤)</sup> ومستعجنة . من ذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ { ٢٠٠ } <sup>(٥)</sup>

(١) انظر آيات الجهاد في القرآن الكريم دراسة موضوعية وتاريخية وبيانها د/ كامل سلامة الدقر ١٩ دار البيان الكويت .

(٢) التصوف بين الحق والخلق محمد نهر الشفقة ١٢٤ ، ١٢٥ الدار السلفية .

(٣) انظر الخزنوية صناديق وتضليل الشيخ عبد الله عبد الرحمن الخزنوي ١٥٥ ط الثانية ١٤٢٨هـ — ٢٠٠٧ .

(٤) انظر مظاهر الانحرافات العلمية عند الصوفية وأثرها السي على الأمة الإسلامية . إدريس محمود إدريس ج ٢/ ٨٩٨ مكتبة الرشد الرياض ط الأولى ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .

(٥) آل عمران آية ٢٠٠ .

فقد فسروا الرباط — بالرباط لمجاهدة النفس ومحاسبتها . واحتجوا على ذلك بما روي داود بن صالح . قال — قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخي — هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية " اصبروا وصابروا ورابطوا " ؟ قلت . لا . قال يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله ﷺ غزو يربط فيه الحيل . ولكنه الانتظار بالصلاة بعد الصلاة . فالرباط لمجاهدة النفس . والمقيم في الرباط مربوط بمجاهدة نفسه<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى " وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل .. الآية<sup>(٢)</sup> " وفسروا الجهاد حق الجهاد بجهاد النفس . واحتجوا على ذلك بالخبر المتقدم " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر "

كما احتجوا بأن بعض الصوفية كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو . فكتب إليه يا أخي كل الغزوات مجتمعة لي في بيت واحد . والباب على مردود . فكتب إليه أخوه — لو كان الناس كلهم لزوموا ما لزمتم لا غلبت أمور المسلمين وغلب الكفار . فلا بد من الغزو والجهاد . فكتب إليه : يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجادتهم الله أكبر . لأنهم سور القسطنطينية<sup>(٣)</sup> .

١) انظر عوارف المعارف للسهروردي ٨٢ ملحق بأحوال علوم الدين .

٢) الحج آية ٧٨ .

٣) انظر عوارف المعارف للسهروردي ٨٢ .

## مناقشة هذه المصممة

الخبر الذي أحتج به الصوفية للدلالة على أن المقصود بالجهاد — هو جهاد النفس — رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر — لا أصل له <sup>(١)</sup> .

وقد ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه من طريق يحيى بن العلاء قال — حدثنا ليث عن عطاء بن أبي رباح عن جابر قال — قدم النبي ﷺ من غزاة له — فقال لهم رسول الله ﷺ قنعتم غير مقدم — وقنعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .  
جهادة العبد هواه .. <sup>(٢)</sup>

وقال البيهقي عنه إسناده ضعيف وتبعه الحافظ العراقي في تحريكه لأحداث الأسماء <sup>(٣)</sup> .

وحكم عليه السيوطي بالضعف في جامعه الصغير <sup>(٤)</sup> .

ويحيى بن العلاء تكلم فيه علماء الجرح والتعديل كلاماً يحملنا على حجر روايته والزهد فيها . يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في شأنه في القريب — رمي بالوضع <sup>(٥)</sup> — أي أنه مهتم بوضع الحديث .

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٩٧/١١ ، ١٩٨ ، والصوفية في نظر الإسلام الأستاذ صبح عاتق الزين ١٢٨ الشركة العالمية للكتاب . ذو الكتاب العالمي بيروت لبنان ط الرابعة ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م والخزنية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الخزري ١٥٥ .

(٢) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤٩٣/١٣ دار الكتب العلمية بيروت لبنان د/١  
(٣) المعنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأسماء من الأخبار للحافظ زين الدين العراقي ملحق بأسماء علوم الدين للإمام العراقي ج ٨٤٩/١ دار المعرفة بيروت لبنان ط ١ سنة ٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ .

(٤) انظر الجامع الصغير من حديث البشير الطبري للإمام جلال الدين السيوطي ج ١٢٤٦/٣ تحقيق حدي المدرداني مكتبة البابا مكة المكرمة ط ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

(٥) انظر القريب للحافظ ابن حجر العسقلاني ٥٩٥ تحقيق محمد عوامة دار المرحمة سوريا ط ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م .



ويقول الإمام الذهبي عنه في الميزان . قال أبو حاتم ليس بالقوي وضعفه ابن معين . وقال الدار قطني متروك . وقال أحمد بن حنبل كذاب يضع الحديث <sup>(١)</sup> .

ويقول الشيخ الألباني عن غيره — رجعتا من الجهاد الأصغر — ضعيف <sup>(٢)</sup>

ومن قبل حكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه مردود ولا أصل له وأن آيات القرآن الكريم تعارضه بقول " هذا الحديث لا أصل له ولم يروه أحداً من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله . وجهاد الكفار من أعظم الأعمال . بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان قال الله تعالى " لا يسوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلاً وعد الله الحسنى . وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً " <sup>(٣)</sup> وقال تعالى " أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن آمن بالله واليوم الآخر ومجاهد في سبيل الله لا يسعون عند الله . والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا ومجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يشوههم وهم بركة منه وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم " <sup>(٤)</sup> .. " <sup>(٥)</sup> .

ومن يأمل كلام ابن تيمية يجد أنه لا يقتصر على رد الحديث بل يرى أنه يعارض آيات القرآن معارضة صريحة <sup>(٦)</sup> .

١) انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ج ٧١/٦

٢) تحقيق علي محمد البجلاوي وهدية علي البجلاوي دار الفكر العربي د/ت .

٣) انظر ضعيف الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ج ١١٨/٤ ط المكتب الإسلامي .

٤) النساء آية ٩٥ .

٥) التوبة ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ .

٦)

١) راجع في ذلك سبيل الدعوة الإسلامية محمد أمين المصري ٢١ ، ٧٢ دار الأرقم ط الأولى

وفروق ذلك فإن وصف قتال الكفار بالجهاد الأصغر . وجهاد النفس بالجهاد الأكبر مغالطة ولا دليل على ذلك من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ . ولا أدري كيف جعل الدكتور الدقس ذلك من قبيل ما اتفق عليه العلماء والفقهاء ؟ وهل ذكر الشيخ الباجوري ذلك بجملة كائناً ودليلاً على الاتفاق ؟ إن هذا لأمر عجيب " إن الشخص الذي يجاهد نفسه حقيقة حتى يتغلب عليها فإنه يسارع لامتناع أمر الله وأمر رسوله ﷺ بتلبية النداء إلى جهاد الكفار ومقارعتهم . ومن تأخر عن قتالهم فليس بمجاهد لنفسه على الحقيقة (١) .

فالتأخر بجهاد النفس قد يكون من الخيل الشيطانية الصادقة للمسلمين عن جهاد أعدائهم والأولى أن يسأل القائل ما مرادك بجهاد النفس ؟ هل تريد جهادها على تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت أم تريد قتلها وتركبتها بالأذكار المستحبة وصيام التطوع وقيام الليل ونحو ذلك ؟ (٢)

فإن أردت الأول . فلا شك أن التوحيد هو رأس الأمر ولكن ينبغي لك أن تأتي بالاسم الشرعي لكيلا تلبس على الناس فتقول مثلاً جهاد النفس على تحقيق التوحيد أكبر من غيره من الأعمال سيما والخليفة المروي بتقسيم الجهاد بأكبر وأصغر غير صحيح كما تقدم (٣) .

وإن أردت الثاني . فلاحظ أن قتال الكفار لإعلاء كلمة الله لمن لله عليه أفضل من سائر التطوعات للأحاديث المتقدمة . وابن القيم رحمه الله أراد النوع الأول . وهو تحقيق التوحيد عندما جعل جهاد النفس أصلاً لجهاد الكفار بوضوح ذلك من كلامه حيث يقول " ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد لنفسه في ذات الله . كما قال النبي ﷺ " المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله

(١) انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه / علي بن هبة العلواني ١٢١ دار طيبة الرياض ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .

(٢) السبيل ١٢١ .

(٣) أهمية الجهاد ١٢١ .

والمهاجر من هجر ما فنى الله عنه " لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه . وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له . متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله . بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج . فهذان عدوان قد امتنع العبد بجهادهما . وبينهما عدو ثالث <sup>(١)</sup> لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده . وهو واقف بينهما يبطئ البعد عن جهادهما ويخذله ويرجف به . ولا يزال يحيل له ما في جهادهما من المشاق . وترك الحظوظ وهوات اللذات والمنشآت . ولا يمكنه أن يجاهد ذلك العدوين إلا بجهاده . فكان جهاده هو الأصل لجهادهما وهو الشيطان قال تعالى : "إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا" <sup>(٢)</sup> والأمر باتخاذ عدواً تنبيه على استغراق الوسع في محاربهه ومجاهدته كأنه عدو لا يقتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس فهذه ثلاثة أعداء أمر العبد بمحاربتهم وجماعها <sup>(٣)</sup> .

" ليس مقصود ابن القيم بجهاد النفس ما يتهمه بعض المتصوفة ومن قلدهم قديماً وحديثاً من أن جهادها هو تزكيتها بالذكر وسائر التوابع فقط . وإن هذا الجهاد هو الغاية وهو الأكبر الذي لا يلتفت ن حلقه إلى ما هو دونه وبالتالي يكون من صلب باطنه بالأذكار والعبادات الفضل من الجهاد الذي يقاتل الكفار . لأن الأول يجاهد الجهاد الأكبر . والثاني يجاهد الجهاد الأصغر والمشتغل بالأكبر أفضل من المشتغل بالأصغر عند جميع العقلاء .

إن ابن القيم أراد بجهاد النفس التزام شرع الله بكامله والدعوة إليه بما في ذلك تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت . ولا شك أن جهاد الكفار بالسيف هو ثمرة

(١) يقصد به ابن القيم " الشيطان " .

(٢) لاطر آية ٦ .

٣ انظر زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ج ٦/٣ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ومكتبة نثار الإسلامية ط ١٤٠١ هـ - وأهمية الجهاد د/ عني نصح العلاني ١٤٢٢ .

تحقيق التوحيد . فالكفر بالطائفت هو اجتنابه وبغضه ونهاية البغض المقاتلة  
والخارجية <sup>(١)</sup> .

والخلاصة أن الخبر المروي غير صحيح ولا أصل له ولعنتم الصوفية وأرباب  
الطرق بجهاد النفس دون جهاد العدو واعتقاد أن ذلك هو الجهاد الأكبر لا دليل  
عليه وإن الأول وهو جهاد النفس إذا لم يدمر جهاد العدو فلا فائدة فيه . إذ لا  
يعتدوا أن يكون وقفاً عند وسيلة لا توصل إلى غاية .

" فلو اشتغل رجل بالوضوء وكلما فرغ من وضوئه بدأه من أوله حتى ذهب  
وقت الفريضة كان عاصياً لله لا طائعاً . وهذا يوضح أن إطلاق الجهاد الأكبر على  
جهاد النفس فيه إهمام وربما يكون كتيباً وتنبؤاً لمشاعر المسلمين . فقد يقول لقاتل  
مادمت مشغولاً بالجهاد الأكبر فما الداعي إلى التشوق إلى الجهاد الأصغر . ووضي  
بوالقه الذي هو فيه ويصدق عليه حديث الرسول (ﷺ) " من مات ولم يغزو ولم  
يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق " <sup>(٢)</sup> ... " <sup>(٣)</sup>

واحتجاجهم بآية آل عمران وتفسيرهم الرباط بالرباطة لجهاد النفس — بعد  
— والمقصود بالصبر والمصابرة — مصابرة الأعداء أي غالبوهم في الصبر على  
شداد الحرب . والرباط هو الرباط في الثغور لجماعة الأعداء أيضاً لقوله " وربطوا"  
أي أقيموا في الثغور مرايطين خيلكم فيها كما يربطها أعداؤكم وهذا قول جمهور  
المسلمين <sup>(٤)</sup> .

(١) أهمية الجهاد / علي بن نقيح العلوي ١٢٢ .

(٢) صحيح مسلم شرح النووي ٥٦/١٣ دار إحياء التراث العربي بيروت ومكتبة المكي بيروت لبنان  
د/ت .

(٣) أهمية الجهاد / علي بن نقيح العلوي ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤) انظر فتح القدير الجامع من فني الرواية والتدريج من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ج  
٣٧١/١ مكتبة الرشد السعودية ط ١٤٦٤هـ — ٢٠٠٣ م .

والرباط يستعمل في ملازمة الثغور . وقد يستعمل في غيرها . ولكنه أصلي في المعنى الأول . كما قال الخليل وغيره <sup>(١)</sup> .

ورد الشوكاني تفسير أبو سلمة بن عبد الرحمن قائلًا " وقد روى من تفاسير السلف غير هذا في سر الصبر على نوع من أنواع الطاعات والمصابرة على نوع آخر ولا تقوم بذلك حجة ، فالواجب الرجوع إلى المدلول اللغوي وقد قدمناه .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الرباط — وفيها التصريح بأن الرباط في سبيل الله وهو يرد ما قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن . فإن رسول الله (ﷺ) قد ندب إلى الرباط في سبيل الله وهو الجهاد فيحمل ما في الآية عليه . وقد ورد عنه أن سمى حراسة جيش المسلمين رباطاً . فأخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد عن أنس قال . سئل رسول الله (ﷺ) عن أجر للرباط . فقال من رباط ليلة حارماً من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام وعلى .. <sup>(٢)</sup> ... <sup>(٣)</sup>

واحتجاجهم بآية الحج مردود وتفسيرهم للجهاد فيها بمجاهدة النفس بعيداً أيضاً .

والمقصود بالجهاد في الآية هو مجاهدة الأعداء وغزو الكفار إذا غزوا بلاد المسلمين <sup>(٤)</sup> وجعل الإمام الرازي هذه الآية في قتال الكفار خاصة وقال إن معنى حق جهاده أن لا يفعل إلا عبادة لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم أو النية <sup>(٥)</sup> وقد ورد في الآثار ما يؤكد ذلك — أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك رضي الله عنه

(١) فتح القدير للشوكاني ج ١/٢٧٩ .

(٢) صحيح مسلم أخرجه الإمام مسلم ج ١/٢١٩ ومالك في الموطأ ج ١/١٦١ .

(٣) فتح القدير للشوكاني ج ١/٣٧٢ .

(٤) انظر مظاهر الإحرفات العقدية عند الصوفية إدرس محمود إدرس ج ٢/٩٠٠ .

(٥) انظر فتح القدير للشوكاني ١٤٣/٣ .

(٦) انظر التفسير الكبير أو مفاتيح القلوب للإمام فخر الدين الرازي المجلد الثاني عشر ٢٣ — ٢٤ /

عن ٩٣ ، ٦٤ منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ٢/٢٠٠٤م — ١٤٢٥هـ .

في قوله وجاهدوا في الله حق جهاده . قلل . جاهدوا عدو محمد حتى يدخلوا في الإسلام<sup>(١)</sup> . فمفسر الجهاد في الآية جهاد النفس خاصة . تخصيص يكون مخصص وقد قلنا أن الخبر المروي في ذلك غير صحيح .

واحتجاجهم بما كتبه بعض الصوفية لأخ له يستدعيه للغزو . يخالف لما لدى الإسلام التي أمرنا بالأخذ والأسباب . ومن الأسباب التي شرعها الإسلام للمسلم لرد كيد الأعداء . هو الجهاد في سبيل الله . أما أن يعقد المسلمون ويتظرون المدمار من الأعداء فهذا أمر غريب ومنطوق عجيب ليس من الإسلام في شيء<sup>(٢)</sup> .

كما أن خروج هذا الفكر في وسط الناس اليوم يبعث فيهم روح الجهاد والمزعة والكرامة ويحيي فيهم الذلة والمهانة . وحتى لو كان لهذا القول شيء من الحجة . وما أظنه بذلك . فلا وجه له الآن . بعد أن احتل الأعداء أرضنا واستباحوا دماءنا . وهتكوا أعراضنا . وسامونا سوء العذاب .

هذا وقد تربى على فهم الطرق الصوفية لأدلة الجهاد آثار عظيمة . فمن فهمها وأعمالها قارم الأعداء وجاهدتهم . ومن أهلها وأولها . هادن الأعداء . وعارضهم . وهذا ما تنازله في المبحث الثاني . والثالث إن شاء الله .

(١) انظر الدر المختار في التفسير للأنوار لجلال الدين السيوطي ج ٤ ص ٧٠٧ مطبعة الأنوار العلمية القاهرة د/ت .

(٢) الإغترافات المقلية عند الصوفية إدريس محمود إدريس ٩٠٢/٢ .

## المبحث الثاني

### الطرق الصوفية المقاومة

سجلت الطرق الصوفية في العصر الحديث صفحات من البطولة في مجاهدة الأعداء ومقاومتهم في طول البلاد العربية والإسلامية وعرضها . وأذاقوا المستعمر الضربات الموجعة وأنزلوا به الوقائع المفجعة التي قضت مضاجعه وجعلته يرحل فرراً من هذه المقاومة معترفاً بحرية البلاد واستقلالها . يقول أحد الباحثين :

" وقل أن تجد من المجاهدين من عمل على إنقاذ الوطن من براثن الاستعمار لم يسلك الطريق الصوفي . لقد وجسوا أن من واجبه محاربة العدوان والشر المادي كما كانوا يحاربون المآثم والشهوات . لأنها كلها من فصيلة واحدة تلحق الروح الإنساني . إن الوميض المتجدد لجهاد الصوفية لحربي عاد ليظهر واضحاً من خلال الهجمة الأوروبية الاستعمارية على بلدان العالم الإسلامي لسطروا بذلك أروع آيات الكفاح وغلدهم التاريخ في صفحاته " (١) .

واستطاعت الطرق الصوفية أن تحول الزوايا والرباطات إلى قلعة عسكرية ووكراً للثورة على المستعمر وهذا ما أوضحه مارسيل سيمان في قوله " إن الجمعيات الدينية غالباً ما تتحول إلى وكر للثورة ضد الأجنبي وضد الرومي المندس لأرض الإسلام " (٢) .

ويقول " لم تعد الزوايا مكاناً لتعليم القرآن الكريم فقط بل أصبحت وكرًا للثورة ترسم في ظلام أركانها مخططات الانتفاضات " (٣) .

(١) انظر الإطار الثقافي عند الصوفية للأستاذ أحمد الخطيب ٩٧ مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق ع ٥٣ جاد الأول ١٤١٤ هـ - أكتوبر ١٩٩٣ م .

(٢) انظر الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية د/ النيلي العجيلي ٧٨ منشورات كلية الآداب بتبنة ١٩٩٢ م .

(٣) السابق ٧٨ ، ٧٩ .

ويصف شارل بروسلان أنباغ الطرق الصوفية فيقول " إنهم المليشيات المسلحة للدفاع عن الإسلام ونشر العقيدة .. مستعدة للإنطلاق بمجرد أول إشارة من قائدها " (١)

ويرى الدكتور أبو القاسم سعد الله — المؤرخ الجزائري الكبير — أن الطرق الصوفية لم تكن كلها محاربة أو مجاهدة من حيث المبدأ . ولكن أغلبها كان كذلك زمن السلط الاستعماري الصليبي (٢) .

وتقول إن معتقدا هم الأغلبية — والجهاد ليس مقصوداً على حمل السلاح — وإن كان أحد أنواعه وأشهرها . ولكنه قد يكون بالكلمة أو بالفتوى — أو الدغم المادي والمعنوي وقد تكون الكلمة ثورة في الجنود فيكون واقعها على العدو كقاذفات الناب أو كالصاعقة المدمرة .

وحديثنا في جانب المقاومة — عبارة عن نماذج ونماط من معظم القارة الأفريقية طوال قرنين من الزمان . القرن التاسع عشر والقرن العشرين . وربما زاد ذلك قليلاً . لأن هذه الفترة الزمنية هي التي منبت فيها البلاد العربية والإسلامية بالاستعمار الأوربي " البريطاني والإيطالي والفرنسي والأسباني " .

وحكمنا بالمقاومة يتصب على الطريقة الصوفية بأكملها أو على مؤسساها باعتبار أنه قائد الروحي للمهم . فأنكر بأمره وتنتهي بنهيه ويؤثر بقروره فيها إيجاباً وسلباً . ولا تكون الطريقة طريقة إلا بالذول على أمر شيخها ومؤسسها وقيل أن نجد طريقة خرجت عن أمر مؤسسها أو شيخها . إن لم يكن ذلك معنوياً وإليك نماذج من الطرق الصوفية التي قاومت المستعمر وجاهده في مختلف البلاد :

#### ١ — في مصر ، الثورة العرابية .

لا تعرف الثورة العرابية في كثير من المصادر إلا من الناحية السياسية أما من ناحيتها الروحية فلا يعرفها إلا من يبحث في ثنايا كتب التراجم . ويلاحظ الكلمات من هنا وهناك ليرى هذا الجانب الخفي في حياة هذا القائد العظيم .

(١) السابق ٧٩ .

(٢) انظر العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية د/ أبو القاسم سعد الله ٣٧ مجلة الفهم السنوية ج ١٣٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ — أغسطس ١٩٨٨ م .



نعم لم تكن الثورة العرابية في مجموعها طريقة صوفية . وإنما باعتبار زعيمها أحمد عرابي باشا ١٨٤١ - ١٩١١م الذي نشأ في بيئة صوفية وفي ذلك يذكر عرابي عن أبيه أنه كان شيخاً جليلاً عالماً ورعاً هو الشيخ محمد عرابي .. وأن جده تزوج شقيقة السيد أحمد الرفاعي الميادي<sup>(١)</sup> وكان هذه النشأة الر بعيد في تكوين خلقه وشخصيته .

وقد جاء في بعض الكتابات " أحمد عرابي . مسلم صوفي جاور في الأزهر عامين . اتصاله وثيق مع العلماء ... وقد ألف حوله جند مؤمنون يقضون الليل في الاستماع إلى تلاوة آيات القرآن الكريم . وفي حلقات الذكر<sup>(٢)</sup> . وكان يعيش عيشة الزاهد المتخفف متأسياً في ذلك بالسلف الصالح وهو القائل " لا نجاح لأمة نبتت أحكام دينها ظهرياً . فلا فلاح لقوم استعملوا شهواتهم"<sup>(٣)</sup> .

وبعبر الإمام محمد عبده الأب الروحي للثورة العرابية أثناء الغزو الإنجليزي لمصر ١٨٨٢م . ومستشارها . وما قامت الثورة إلا بإذنه وتوجيهه<sup>(٤)</sup> . وقد تحمل في سبيل ذلك السجن والنفي<sup>(٥)</sup> .

وكان الشيخ صوفياً تأثر بشيخ قريب له يدعي الشيخ درويش خضر الذي سبقت له الأسفار في صحراء ليبيا حتى طرابلس وتلقى عن شيخ من تلك البلاد علوم الدين والتصوف على الطريقة الشاذلية<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر الإطار البلاغي عند الصوفية الأستاذ أسعد الخطيب ١٠٠ .

(٢) انظر الإسلام وحركات التحرير العربية د/ هادي أبو حليل ٤٢ - ٤٤ دار الرشيد ط الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ومؤسس مصر الحديثة ماري رولات ٨٦ المكتب التجاري بيروت لبنان .

(٣) الإطار البلاغي ١٠٠ .

(٤) الإسلام وحركات التحرر ٤٤ .

(٥) الإطار البلاغي ٩٣ .

(٦) انظر دعوة الإصلاح الإسلامي بين الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر والدعاة المعاصرين في الشرق العربي د/ محمد فتحي عثمان ٤٤١ ، ٤٤٢ بحث في مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية ج ٤ / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

فالبداية الأولى للشيخ محمد عبده — بداية صوفية قادمة من المغرب <sup>(١)</sup> . ولا واصل الشيخ تعليمه وفتح الله عليه فأصبح إماماً أهل المغرب في حياته وبعد وفاته <sup>(٢)</sup> .

وكان للشيخ دور كبير في الحركات التحررية والإصلاحية التي وقعت في تلك البلاد ومع تلك البداية الصوفية فقد اتجه الشيخ في فكرة الإصلاح بعد نضجه وجهة سلفية . وأخذ هذا الاتجاه يتعمق عنده شيئاً فشيئاً مع بقايا نزعة صوفية تطفوا مرة بعد أخرى ويصدق عليه قول تلميذه الشيخ رشيد رضا " إنه كان أخيراً صوفياً ثم صار بالتدريج سلفياً " <sup>(٣)</sup> .

وفي مصر نشأ الشيخ حسن البنا ت ١٩٤٩م نشأة دينية صوفية وكان في بداية حياته على الطريقة الحصافية <sup>(٤)</sup> وكون جماعة في الإسماعيلية موطن عمله الأول عام ١٩٢٨م وربطها تربية سلوكية وجهادية على مبادئه فانطلقت إلى فلسطين وقالت الإنجليز واستشهد منهم الكثير . وكان الإنجليز يعملون هذه الجماعة حساساً كبيراً. ولقد جلى هذه المسألة وأوضحها الأستاذ كامل الشريف في كتابه الأخوان المسلمون في حرب فلسطين .

وظل الشيخ البنا وفياً لهذه الطريقة ومستعراً عليها إلى آخر حياته كما صرح بذلك الشيخ أبي الحسن الندوي في كتابه "التفسير السياسي للإسلام" <sup>(٥)</sup> ولكن

(١) السابق ٤٤١ .

(٢) السابق ٤٤١ .

(٣) انظر تاريخ الأستاذ الإمام — محمد رشيد رضا ج ٢٠/١ — ٢٦ ، ١٠٦ — ١٠٨ ، ج ٥٧٤/٢ الخاشية مطبعة النار القاهرة .

(٤) الطريقة الحصافية تنسب إلى الشيخ حسين الحصافي — المؤسس الأول لها وبينها وبين الطريقة الشاذلية صلة قوية . وعزى مطبعة الطريقة ابنه عبد الوهاب بعد وفاة والده — وقد تأثر الشيخ البنا بالوالد والولد كثيراً وللشيخ مسجد وعريش في دمنهور بمحافظة البحيرة .

(٥) انظر رسالة لا وهابية الشيخ أبو الحسن الندوي ١٣٦ ، ١٣٣ دار النصح للطباعة والنشر بيروت لبنان ط ١٣٨٨/٢ — ١٩٦٩م .

الدكتور محمد فتحي عثمان يذكر أن الشيخ البنا تحول من الناحية الفكرية في آخر حياته عن الاستشهاد بالغزالي " التوجه الصوفي " إلى إيراد كلام ابن نعمة وابن القيم رضي الله عنهما <sup>(١)</sup> .

ومن قبل الشيخ البنا وجماعته — أسرة البكري — تلك الأسرة التي لها تاريخ طويل في التصوف الإسلامي بمصر — ولها دورها البطولي في مقاومة الاستعمار الإنجليزي ومجاهدته — ينتهي نسبها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه <sup>(٢)</sup> فهي أسرة عريقة جمعت بين نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية <sup>(٣)</sup> واختار من أفراد هذه الأسرة الشيخ محمد توفيق البكري — الذي تربى تربية دينية وحمل شهادة من الأزهر — والتقى الفرنسية والتركية والإنجليزية إلى جانب العربية وزار أوروبا موثب . فاطلع ولهم المدنية الحديثة <sup>(٤)</sup> وتسلم بعد أبيه — الشيخ علي البكري — مشيخة الطرق الصوفية . ونقابة الأشراف <sup>(٥)</sup> .

لقد قام هذا الشيخ بمقاومة الاستعمار الإنجليزي — وأخذ ينادي " مصر للمصريين . وأنا ضد أي احتلال فرنسي أو إيطالي أو بريطاني . إن البلاد قادرة على حكم نفسها بنفسها .

لقد جاهر بعدائه للاستعمار البريطاني وبدأ يث الروح الوطنية بمفهومها الذي ساد في نهاية القرن ١٩ ومطلع القرن العشرين في مصر وهي اهتمام المصري بوطنه والعصك بدعوة الجامعة الإسلامية فكرية وعملياً <sup>(٦)</sup> .

١) انظر دعوة الإصلاح الإسلامي د/ محمد فتحي عثمان ٤٦٨ .

٢) تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر فريد دي بونج ١١ ترجمة عبد الحميد فهمي الجليل ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥ م .

٣) الإسلام وحركات التحرر العربية ٢٥ .

٤) السابق ٣٩ — ٢٨ .

٥) السابق ٣٩ .

٦) انظر محمد توفيق البكري ، د/ ماهر حسين فهمي ٧٣ سلسلة أعلام العرب ٩٤ والإسلام وحركات التحرر العربية ٣٧ .

واستطاع هذا الرجل الصوفي بما ملك من ناحية الأدب والبيان وبالقلم واللسان أن يفعل بنفوس المصريين وعقولهم إزاء الاحتلال البريطاني ما تفعله شعلة النار إذا أُلقيت في بحر من البترول .

يقول الدكتور شوقي أبو خليل نقلا عن جريدة المؤيد إن البكري لم يصنع أكثر من محاولة تكتيل الرأي العام نحو هدف معين . وأكثر من تكريس المصري " وجعل بمصر في النفوس والعقول ما تفعله شعلة النار أُلقيت في بحر من البترول " وقلعه في سبيل محاربة المستعمر وإيقاظ أبناء وطنه وبث روح المسؤولية فيهم .. وظل هكذا حتى علت شهرته في مجاهدة الاستعمار البريطاني لبلاده " (١) .

هذا وقد قام مشايخ الأزهر . وكثير منهم من ذوى الطرق الصوفية بدور كبير في مجاهدة المستعمر ومقاومته . فالأزهر كما كان روضة تلقى فيه العلوم الشرعية كان أثناء الاستعمار البريطاني قلعة حربية تعقد فيه الندوات وتنظم فيه اللقاءات وتخرج منه المظاهرات . وفي وقت كان الناس

لا يعرفون أحداً من البشر بعد الله عز وجل إلا مشايخ الأزهر .

وإذا كان الحديث عن مشايخ الأزهر فإنا لا ننسى الدور الذي قام به الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله في حرب أكتوبر ١٩٧٣م فلوره في دعم الجهاد وتأييد المجاهدين لا ينكر .

## ٢ - في ليبيا :

**الطريقة السنوسية :** لقد ارتبطت السنوسية بالصوفية وارتبطت الصوفية في ليبيا بالسنوسية . واستطاعت هذه الحركة بقيادة مؤسسها الأول الإمام محمد بن علي السنوسي ت ١٨٥٩م أن يحقق انتصارات كبيرة على الإيطاليين توجت في نهاية بزوال الاحتلال وحصول ليبيا على استقلالها وسيادتها التامة في الخمسينات من القرن الماضي .

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية ٢٨ .

فالطريقه السنوسية باختصار هي التي حررت الدولة الليبية الحديثة وجعلتها  
تقبل على استقلالها .

والإمام السنوسي الكبير ١٨٥٩م من سلالة الإدارة اللين يتصل نسبهم  
بعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء <sup>(١)</sup> وهو تلميذ أحمد بن إدريس الفاسي ت  
١٨٥٣م رئيس الطريقة الحضرية الشاذلية <sup>(٢)</sup> ويرفض الدكتور أبو ريان أستاذ  
الفلسفة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية أن تكون السنوسية فرعاً عن الطريقة  
الشاذلية كما فهم بعض المؤرخين . بل هي على الوجه الأصح جمعية سنوسية قامت  
على أسسها الإدارة السنوسية ليوقة وللبيبا فيما بعد وذلك لأنها قد تشكّلها  
الأول قامت على أساس حركة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية <sup>(٣)</sup> .  
وتفسرنا لقوله حركة دينية — يعني أنها صوفية — وعدم كونها فرعاً من  
الطريقة الشاذلية لا ينفي كونها طريقة صوفية مستقلة .

ويذكر الدكتور الصلاحي أن الإمام السنوسي درس كافة الطرق الصوفية  
وانتقد خطاءها وعمل على تنفيذ العصور بالكتاب ومنه المصطفى <sup>(٤)</sup> وحصل  
على إجازات من علماء راسخين وأصبح مدرّساً بالجامع الكبير بمدينة لاس وقال  
للشيخ الكبير بها . وكانت لاس مركزاً للطرق الصوفية . ومبدأ نشاطها ..  
وكان من الطبيعي أن يتأثر بالنظام المغربي للصوفية .. ولقد استمر اهتمامه بالصوفية  
حتى آخر حياته . وبقي خطها واضحاً في شخصيته <sup>(٥)</sup> .

(١) انظر الحركة المهدية من ويكيبيديا — الموسوعة الحرة شبكة الانترنت ٢٠١٠ .

(٢) انظر دراسات في تاريخ الطريقة المغربية الأستاذ عبد الكريم غرابية ١٥ جامعة دمشق ط ١٩٩٠/١  
وهندزة في السياسة والتاريخ — الملك — العليدة — المفوضة الليبية في الخارج بقلم الصادق شكري  
ج ٢/٣ شبكة الانترنت .

(٣) انظر الحركة الصوفية في الإسلام د/ محمد علي أبو ريان دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ط  
١٩٩٤

(٤) انظر الحركة السنوسية د/ محمد علي الصلاحي دار البيان ط ١٩٩٩/١ . وهندزة في السياسة  
والطريق الصادق شكري ج ٢/٣ .

رعاية الشيخ وتربيته وإنشائه وأحفاده من بعده للزوايا والرباطات . ووجود طرق صوفية أخرى كالرفاعية والشاذلية والأسمرية والقادرية وغيرها تؤكد أن الخط العام والاتجاه العام للطرق الصوفية في هذه البلاد <sup>(١)</sup> .

وكان لهذه الزوايا شيوخ يربون الأتباع على تعلم الرماية وقنون الحرب والقتال والاستعداد له في أي لحظة . كما أنها كانت منظمة تنظيماً دقيقاً . ولم تخرب الحكومات الاستعمارية في شمال أفريقيا على مها <sup>(٢)</sup>

وقد تحولت هذه الزوايا أثناء الغزو الإيطالي لليبيا إلى معازل حربية وحصون عسكرية . أذاقوهم من خلالها الويلات . وقتل من الليبيين الكثير ما يقارب المليون شهيد <sup>(٣)</sup> .

ومن ثمرات الحركة السنوسية المجاهد الكبير الشيخ عمر المختار ١٩٣١م والذي يسميه الليبيون شيخ الشهداء . وأسد الصحراء . وقد ارتبط الشيخ بالسنوسية ارتباطاً روحياً كبيراً بكل ما يعني هذا الوصف من معنى أو ما يعرف عند الصوفية بعلاقة المريد بالشيخ فكان لا يقبل شيئاً ولا يرم أمراً إلا إذا أذن له الأمير إدريس السنوسي .. وكان يوقع على محاضر اتفاقيات الهدنة التي كانت تحدث أحياناً مع الإيطاليين بالاسم التالي خاتم الحضرة السنوسية <sup>(٤)</sup> .

وقد وهبه الله قوة بدنية وروحية عالية — أما قوته البدنية — فلما عرف عنه من شجاعة وإقدام وقد تجاوز السبعين من عمره وعظمى صهوة فرسه ومجاهد عليه ويصول ويجول به في الصحراء اللبية لمقاومة الإيطاليين وقد ورث هذه الشجاعة من والده الذي كان معروفاً ومشهوراً <sup>(٥)</sup> ١٤ .

(١) انظر مدونة في السياسة والتاريخ ج ٢/٣ .

(٢) انظر حاضره العالم الإسلامي لولروب وسودلوو الأمريكي مع تعليقات وإحالات الأمير شكيب أرسلان ج ٢/٣٩٨ — ٤٠١ دار الفكر العربي القاهرة د/ت .

(٣) انظر مدونة في السياسة والتاريخ ج ٧/٤ .

(٤) انظر السابق ج ١١/٤ ، ١٢ .

(٥) انظر المختار أسد الصحراء ١ ، ٢ مجاميل ومشاهد في مرفق Ealon an luni

ولما قوته الروحية فيقعه الشيخ محمود الجهمي صاحبه ورفيقه في الجهاد أنه ما كان ينام ليلة حتى الصباح . ما كان ينام إلا ساعتين أو ثلاثة ثم يقوم ويتوضأ ويصلي ويقرأ القرآن حتى الصباح وكان لا يزيد عن سبع حتى يختم القرآن<sup>(١)</sup>. وقد تركت الفترة التي قضها الشيخ في زاوية الخقبوب وعمرة ستة عشر عاماً آثاراً ظلت باقية في سلوكه وتفكيره وصفاته طوال حياته<sup>(٢)</sup>.

يقول الدكتور شوقي أبو خليل " تعلم في الزاوية السنوسية في الخقبوب . وأقامه محمد المهدي الأدرسي شيخاً على زاوية "القصور" بالجبل الأخضر . وصافر معه إلى السودان سنة ١٣١٧هـ فاقام بها شيخاً لزاوية

"كلك" إلى سنة ١٣٢٩هـ وعاد إلى برقة شيخاً لزاوية القصور .."<sup>(٣)</sup>

إن هذه التربية الإيمانية العالية كانت سر حياته الروحية وقوته القتالية . وصرامى الأنباء إلى المجاهد الكبير بقدوم القوات الإيطالية لاحتلال ليبيا والسيطرة عليها فجمع المجاهدين وبعينه الأمير إدريس السنوسي قائداً عسكرياً لقيادة عنه بعد أن توجه إلى مصر عام ١٩٢٢م ويقود الشيخ ومعه المجاهدون المعركة ضد الإيطاليين والتي استمرت من عام ١٩٢٣م إلى عام ١٩٣١م<sup>(٤)</sup> وينظم الشيخ الصفوف ويرتب الجنود ويتخذ من الجبل الأخضر مقراً ومطعماً له . وتبدأ المعارك بينه وبين الإيطاليين .

ويذكر غراسباتي القائد العام الإيطالي في بيان له للمعارك التي وقعت بين جنوده والمختار فيقول " إنها كانت ٢٦٣ معركة . هذا ما عدا ما خاضه عمر المختار من المعارك في خلال عشرين سنة قبلها "<sup>(٥)</sup>

(١) السابق ٢ .

(٢) انظر الإطار الدفاعي عند الصوفية الأستاذ سعيد الخطيب ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) الإسلام وحركات التحرر العربية ١٣٨ .

(٤) هدية في السياسة والتاريخ د/ الصادق هكوي ١٣/٤ .

(٥) الإسلام وحركات التحرر العربية ١٣٩ .

وكان من أشهر المعارك التي خاضها المختار رحمه الله " معركة " الرحبة .  
وعفوة المظمورة . وكرمة . وهي أسماء أماكن في الجبل الأخضر نسبت إليها تلك  
الوقائع " (١) .

واستمرت المعارك بينه وبين القوات الإيطالية — واستطاع بقواته المخاضعة أن  
يرذل بهم الضربات الموجعة والخسائر الفادحة وأشبعهم ضرباً وقتلاً في الوقت الذي  
كانوا يتلون من المجاهدين معه . ولكنهم لم يستطيعوا النيل منه إلا بعد أن أصيب  
فرسه وسقط على الأرض جريحاً وسرعان ما قبضوا عليه وشكلوا له محكمة صورية  
سريعة حكمت بإعدامه شقاً أمام جمهور غفير من أبناء البلاد عام ١٩٣٦ م . ونفذ  
الحكم وسقط الجسد على الأرض . ونصعد الروح إلى السماء وتظل سيرته  
وتضحياته وجهاده نبراساً يقتبس منه المجاهدون الدروس والعبر إلى يومنا هذا (٢) .

ومن الآثار التي أحدثتها الحركة السنوسية وهي صوفية : " ألما كانت أساس  
الدولة الليبية الحديثة يقول أحد الباحثين " ولعل الدولة السنوسية التي قامت في  
ليبيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية إحدى الدول النادرة في تاريخ الإسلام التي  
أقامتها طريقة من الطرق الصوفية . ولم يطر شكل الدولة وروحها إلا في عهد  
الرئيس معمر القذافي " (٣) كما ألما أحدثت دوراً إيجابياً في البلاد العربية المجاورة .  
إذ سرعان ما تأثرت بلاد المغرب العربي وحدثت حلوها في الجهاد ومقاومة  
المستعمرين .

١ . السابق ١٣٩ .

٢ . راجع في ذلك عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد في ليبيا . طهر أحمد الزوي — دار المختار  
الإسلامي للنشر والتوزيع ط ٢٠٠٤/١ م وصياة عمر المختار الأستاذ محمود خليبي ١٩ — ١٩٥ دار  
الجيل بيروت لبنان ط ٢٠٠٢/٤ م — ١٩٢٠ م وعمر المختار د/ علي محمد الصلاحي ٩٣ — ١٠٠ .

٣ . انظر الطرق الصوفية في ليبيا — د. محمد علي فكري — ٢٦ وناظرة على فكرة علي عزت بيغوفيتش حركات  
المختار الوطنية الأستاذ محمد . ١ — عيس ١ — ٥ مقال على شبكة الانترنت <http://www.wv.w>



وأهم آثارها في نظري ما أحدثته من تغير ملحوظ . في الزراعة والصناعات والآثار والصناعات والحرف المختلفة " فكانوا يستعملون أصناف الأشجار الغربية إلى بلادهم من الأراضي البدان . وأدخلوا في الكفرة والجفوب زراعات وغراساً لم يكن لأحد هناك عهد بها . وكان بعض الطلبة يلمسون من السيد محمد السنوسي أن يعلمهم الكيمياء فيقول لهم " الكيمياء تحت سكة اثراث " فأحياناً يقول لهم " الكيمياء هي كد اليمين وعرق الجبين " وكان يسوق الطلبة والمريدين إلى القيام على الحرف والصناعات ويقول لهم " يكفيكم من الدين حسن التوبة والقيام بالفرائض الشرعية وليس غيركم بالفضل منكم " وأحياناً يلمع نفسه بين أهل الحرف ويقول لهم وهو يشغل معهم " يظن أهل الأوريقات والسيحات <sup>(١)</sup> أنهم يسبقونا عند الله . لا والله ما يسبقونا " <sup>(٢)</sup> .

إن الطريقة السنوسية " الصوفية " يجب أن تكون مثلاً يحذى به لدى أرباب الطرق الصوفية الأخرى في جميع المجالات العملية . وإن التصوف لا يعني إلا تعزالية المقيمة والسلبية البغيضة بعيداً عن واقع الحياة ومشاكل الأمة <sup>(٣)</sup> .  
هكذا يجب أن يكون الطريق الصوفي قوة في العمل وأساساً في الإنتاج وحركة في الحياة وجهاداً في الميدان وعبادة في المساجد وتعلماً في المدارس .  
وفي جملة واحدة " الحركة السنوسية حركة إصلاحية ديناميكية — جهادية — وتربوية ذات نفس صوفي . قاومت الجيوش الاستعمارية الغازية وسعت إلى ترسيخ قيم الإسلام في النفوس .. ووطأت قيم التعاون والتأخي والمحبة بين الناس ..

(١) المقصود بأهل الأوريقات . العلماء . وبأهل السيحات المايدين والفقهاء فكانه يريد أن يقول للمحترفين والصناع لا تظنوا أنكم دون العلماء وأثرها وقاماً بمجرد كونكم صنّاعاً وعملية وكونهم هم علماء وقراء — وهذا ليزيدهم رغبة وهوقاً ويعلم الناس حرية الصناعة التي لا مدينة إلا بها " انظر حاضرم العالم الإسلامي ج ١٦٤/٢ .

(٢) السبل ج ١٦٣/٢ ، ١٦٤ .

(٣) انظر الحركة الصوفية في الإسلام د/ محمد علي أبو ريان ٣٢٩ .

... تحت زوايا التعليم . كافة أنواع العلوم والمهارات التي تفيد الناس في حياتهم .  
شرت دين الإسلام في الكثير من بقاع المعمورة " (١١) .

### ٣- في تونس :

احتلت فرنسا تونس ودخلتها عام ١٨٨١ م (١٢) وأرادت السيطرة على جميع المجالات فيها وخضوع أهلها لنظامهم الاستعماري . وكان من المنتظر من الطرق الصوفية الكثيرة (١٣) . هناك أن تقاوم هذا الاستعمار . ولكننا لم نجد إلا بعض مشايخ الطريقة الرحمانية (١٤) الذين قاموا بانقراضات عديدة ضد الفرنسيين في نصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٥) وكان لهذه القلة نفس لطالبي تستطيع أن يحولوا إلى لم يغب عن الساحة (١٦) .

ومن هؤلاء المشايخ علي بن عيسى شيخ زاوية الطريقة الرحمانية بالكاف فقد شجع الأهل وحشهم على الوقوف في وجه القوات الفرنسية الداعمة عندما اقتربت منها (١٧) .

والشيخ أحمد بن عبد الملك " ١٨٢١ م - ١٩٢١ م " شيخ زاوية الطريقة الرحمانية بأولاد عون . والذي برهن على عدوانه للاستعمار سنة ١٨٨١ م ولما ظهر ذلك عنه - أقضاه الجنرال الفرنسي ليلبار ولم يحف عنه إلا سنة ١٨٨٨ م (١٨) .

---

(١) انظر مدبرة في السياسة والتاريخ د/ الصادق شكري ج ٢/١ .

(٢) انظر الإسلام الطريقي دراسة في موقفه من المجتمع ومن القضية الوطنية د/ لطيفة الأعصر ٣٨ سراس للنشر والتوزيع تونس .

(٣) تذكر الذكورة / لطيفة الأعصر إحصائية عن الطرق الصوفية في البلاد التونسية أنها بلغت عام ١٩٢٥ م ٢٩ طريقة لها ٥٠٥ زاوية ، ٣١٠٩٩٩ من الأتباع . وهذه إحصائية قديمة وقد زاد العدد عن ذلك في العصر الحديث . السابق ٤٢ .

(٤) نسب إلى مؤسسها الجوهري الأول محمد بن عبد الرحمن القشتوي ت بين عام ١٢٩٣ م - ١٢٩٤ م فكان وصولها إلى تونس عن طريق زاوية الكاف انظر الإسلام الطريقي ٨٥ .

(٥) السابق ٧٩ .

(٦) السابق ٤٨ .

(٧) انظر الطرق الصوفية د/ الطيلي المجلدي ١٢١ .

(٨) السابق ١٢١ .

والشيخ حمد بن إبراهيم بن عبد الملك — أحد رجالات زاوية سيدي عبد الملك — السابق ذكره — فقد قاوم انتصاب الحماية الفرنسية . ووجه قواتها قرب الفحص . ولما انهزم هرب إلى جبل السرج <sup>(١)</sup> ومنه إلى طرابلس حيث استقر إلى أن توفي سنة ١٩٠٩م <sup>(٢)</sup> .

كما سجلت محاولته لمقاومة الاستعمار الفرنسي في أيامه الأولى من قبل معمر الزاير شيخ زاوية بكنية الخلفاء بماجر إذ أنه وقف في وجه الطابور الذي كان يقوده فور جنول Forgenal لكنه لم يلبث أن فر إلى طرابلس التي عاد منها سنة ١٨٨٢م وبوفاته سنة ١٩٠٧م خلفه أخوه الأصغر عبد الحفيظ فكافح بدوره ضد الاستعمار لكنه بعد النضال هدأ وسكن <sup>(٣)</sup> .

ويذكر الدكتور الطيلي العجيلي أن بعض الطرق الصوفية كانت وراء الحركات الوطنية التي قاومت المستعمر الفرنسي في الشمال والشمال الغربي والوسط والوسط الغربي بتونس <sup>(٤)</sup> .

من خلال هذه النماذج التي قدمناها يجب لنا أن نذكر بعض زوايا الطريقة الرحمانية كانت من أبرز زوايا الطرق على مستوى البلاد التي وقعت في وجه الغزو الفرنسي <sup>(٥)</sup> لكنها في بعض مواقعها الأخرى لم تحل أحياناً من التردد والتذبذب كما حدث من علي بن عيسى المتقدم . وهذا ما يدعونا إلى العجب .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعدى إلى حدود المعاونة لفرنسا بدلاً من مقاومتها . ومواقفها بدلاً من معاداتها كما حدث من الشيخ محمد البشري الشريف شيخ الرحمانية الأكبر <sup>(٦)</sup> .

(١) قرب الوسلاتية من ولاية القروان .

(٢) الطرق الصوفية د/ القليلي ١٢١ .

(٣) السابق ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) السابق ١٢٣ — ١٢٩ .

(٥) السابق ١٢٢ .

(٦) انظر الإسلام الطريقي د/ لطيفة الأصغر ٨٠ ، ٨١ .

وكما حدث من الشيخ الأرهاري بن مصطفى بن عزوز شيخ الزاوية الرحمانية بنقطة الذي دعا إلى الإغتراف في الجندية للمساهمة في الحرب إلى جانب فرنسا<sup>(١)</sup>. وهذا أمر طبيعي . فإن الصوفي إذا لم يقاوم لابد أن يعاون . وإذا لم يعادي لابد أن يوالي . وهذا ما كان من معظم الطرق الصوفية التونسية . وقد ذكرنا بعض الزوايا من الطريقة الرحمانية من باب الحق والعدل والإنصاف . لأن الطرق الصوفية لها وعليها . ولا يمتنعنا من ذكر ما لها أن نذكر ما عليها كما سيأتي في الفصل القادم إن شاء الله . وربما كان غياب الشخصية القيادية الكبرى والمؤثرة من أمثال الخطابي والأمير عبد القادر الجزائري والسنوسي والمختار هو السبب في ذلك .

#### ٤. نفي الجزائر

كثيرة هي الطرق الصوفية في الجزائر . وقد هب معظم هذه الطرق لمقاومة الاستعمار الفرنسي إبان احتلاله لها سنة ١٨٤٣م وكان علي رأسها شيخ المجاهدين في العصر الحديث الأمير عبد القادر الجزائري ت ١٨٨٣م والذي ظل يجاهد حتى نفي إلى قطوان<sup>(٢)</sup> وكان في جهاده رمزاً للتضحية والفداء كما أصبحت قصة كفاحه رمزاً أيضاً في تاريخ الأمة العربية في عصرها الحديث<sup>(٣)</sup> .

وقد نشأ هذا الأمير في أسرة صيدية صالحة — فكان أبوه \* يحيى الدين ذا مكانة في الجزائريين وصاحب طريقة صوفية مشهورة هناك . هي الطريقة الشاذلية<sup>(٤)</sup> . كما كان جده الشيخ مصطفى الحسني صوفياً زاهداً وصاحب زاوية عربية المريدين . وهذا ما أثر في أخلاق الأمير وسلوكه وإذا كان الوالد والجد

(١) السابق ٨٩ .

(٢) انظر الأعلام . لقاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين خور الدين الزركلي ج ٤٥/٤ ، ٤٦ دار العلم للملايين بيروت لبنان ط ١٩٧٩م .

(٣) انظر القسوة الصالحة أخلاق قرآنية ونماذج ربانية حسني آدم ج ١ ط ١٩٩٤ .

(٤) انظر الإسلام وحركات التحرر العربية د/ شوقي أبو خليل ٩٨

صوفيان فلا غرابة في أن يكون الأمر صوفياً كذلك . ولذلك وصفه الشيخ إسماعيل باشا البغدادي فقال " إنه مالكي المذهب صوفي المشرب " <sup>(١)</sup> وليس الخرقه القادرية من يد الأستاذ نقيب الأشراف وخليفة السيد عبد القادر الشيخ السيد محمود القادري ذي الفضل والمكانة المشهورة <sup>(٢)</sup> فكان قادرياً كما قال المروخ الفرنسي مارسيل إيميري <sup>(٣)</sup> كما كان تفتنبلياً وقد أخذها عن علماء الشام عندما زارها في مطلع شبابه مع والده .

وسبب كثرة الطرق كثرة أسفار الأمير وزياراته لمختلف البلاد العربية . بغداد والشام . ومكة . وكان الأمير أثناء هذه الزيارات يلتقي بالمشايخ وأرباب الطرق فيؤخذ عنهم الطريقة . فأخذ النقشبندية من علماء الشام والشاذلية من علماء مكة <sup>(٤)</sup> وأخذ القادرية من علماء بغداد أثناء زيارته للشيخ عبد القادر الجيلاني <sup>(٥)</sup> . والأمير قد جمع من هذه الفرق — وإن كان ذلك مجموعاً في النظام الطريقي لكن تأثره الأكبر كان بالقادرية . لأنها كانت من أكبر الطرق انتشاراً وثيراً في الجزائر . وللأمير مؤلفات في التصوف منها كتابه المؤلف في ثلاثة أجزاء <sup>(٦)</sup> وديوان شعره وهو مطبوع وأعلن في الوعظ والتصوف <sup>(٧)</sup> وعقله المسرور <sup>(٨)</sup> وظل الأمير

(١) انظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين إسماعيل باشا البغدادي ج ٦٥/٥ مكتبة المني بغداد مصورة على نسخة استنسخ سنة ١٩٥١ م .

(٢) انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر الشيخ حنيفة الزواقي البطار ج ٨٨٨/٢ دار صادر بيروت .

(٣) انظر التصوف والصوفية في الجزائر متعلقات المهدي :

[http . H.w.w.w.almehelg.com](http://H.w.w.w.almehelg.com)

(٤) انظر حلية البشر ج ٨٩٨/٢ .

(٥) السابق ج ٨٨٨/٢ .

(٦) انظر الأعلام للزركلي ج ٤٥/٤ ، ٤٦ ، وحلية البشر الشيخ البطار ج ٩٠٤/٢ والإطار البلاغي عند الصوفية ١٥٩ وقد نشر الأستاذ سعد الخطيب ومن قبله الزركلي إلى أن الكتاب مطبوع وصدر من دار النهضة العربية بدمشق ١٩٤٥ م .

(٧) الأعلام ج ٤٦/٤ والإطار البلاغي ١٠٩ .

(٨) حلية البشر ٩٠٤/٢ .

وفيا للتصوف بالقي عليه وتمسكا به حتى أخريات حياته إلى أن مات في دمشق .  
فكان يخلّي للعبادة في المدينة سنة ١٢٨٠ هـ يعني في آخر حياته <sup>(١)</sup> ، ويبدو أنه  
ذا ميول لمحى الدين بن عربي — صاحب كتاب الفتوحات المكية — فقد كان يقرأه  
على تلاميذه وكان من تلاميذه الذين حضروا عليه هذا الكتاب — صاحب كتاب  
الحلية <sup>(٢)</sup> — كما صرح بذلك — حتى إنه لما مات دفن في الصالحية من دمشق في  
مدفن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي شمال قبره — ليس بينه وبين الخائف  
الشمالي قبر آخر <sup>(٣)</sup> .

وكان تلميذه الشيخ عبد الرزاق البيطار من المغمزين به للدرجة إنه لم يعلق  
على شيء مما تقدم بل قال في وصفه " هو الممام الكامل العارف . والإمام المتحلي  
بأعلى العوارف . الراسخ القدم في العلم الإلهي . والكاشف عن أسرار الخفائض حتى  
شهادتها كما هي <sup>(٤)</sup> " وهذه الصفات لا تنطبق على إنسان إلا إذا كان التصوف له  
طريقاً ومنهجاً في الحياة بأسرها .

ولما بايعه الجزائريون بالإمارة لم يتعامل بها مع رجال دولته . بل كانت علاقته  
بهم علاقة الشيخ الصوفي بأتباعه المريدين . ولذلك يقول د/ محمد فتحي عثمان  
متحفظاً في عبارته " وتبدو علاقته برجاله أكثر من مجرد علاقة زعيم قبايل مطاع .  
إذ تفشها نزعة صوفية واضحة من علاقة الشيخ والمريدين ويجلي ثقافته الدينية  
كتاب المواقف وهو في التصوف " <sup>(٥)</sup> .

وتصوف الأمير لم يكن تصوفاً نظرياً سليماً . بل كان تصوفاً عملياً إيجابياً  
لعلنا احتلت بلاده من قبل فرنسا واستعمرها . اجتمع بالعلماء والأشراف

(١) انظر حلية الشوج ٨٩٩/٢ .

(٢) السابق ج ٩٠٤/٢ .

(٣) السابق ج ٩٠٤/٢ ، ٩٠٥ .

(٤) انظر حلية الشوج ٨٨٣/٢ والإطرو الدلاهي عند الصوفية ٩٩ .

(٥) انظر دعوة الإصلاح بين الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر والدعاة المعاصرين في الشرق  
العربي د/ محمد فتحي عثمان ١٣٦ .

وأعيان القبائل تحت شجرة عظيمة لمناقشة أمر هذا المستعمر الغازي . واجتمعوا أمرهم على مبايعته بالإمارة والجهاد في سبيل الله لتحرير الجزائر وإقامة الشرع الخفيف . فأدشأ حكومة إسلامية برئاسة لتحقيق هذه الغاية . واتخذ مدينة المسكر عاصمة له .. وبدأ يجمع رجال القبائل وأثار فيهم روح الجهاد . وواجه المستعمر بقوة أنحلته في كثير من المعارك التي خاضتها . ومن أشهر المعارك التي خاضها معهم — معركة وهران — ووهران منطقة تكتل القوى الفرنسية — ودامت المعركة ست ساعات — انتصر فيها عبد القادر بجيشه القليل وأسلحته المخروطة المصنوعة في الجزائر<sup>(١)</sup> . وكلما ازداد الأمير في تعداد جيشه وتحديث أسلحته ومواصلة معاركه كلما أشدّت فرنسا في إزلال الضربات الموجعة بالجزائريين ، ومكثت الحروب بينهما سبعة عشر عاماً<sup>(٢)</sup> واستشهد كثير من الجزائريين حتى تناقص عددهم من ٤ إلى ٣ مليون في السنوات السبع الأولى من الاحتلال<sup>(٣)</sup> .

وكان في استطاعة الأمير مواصلة الجهاد ومقاومة الفرنسيين . لولا انضمام سلطان مراکش عبد الرحمن بن هشام إلى فرنسا فقد هددوه باستعمال القوة . فتمهد أن يتغلب على مناصرة الأمير وإخراجه من بلاده التي لجأ إليها<sup>(٤)</sup> . وحده حركة غدر وخيانة من سلطان المغرب أضعفت الأمير إضعافاً شديداً وعلمها الشيخ البيطار من الغلطات النفسية فقال " يبقى الأمير مدافعاً ومهاجماً إلى أن سولت الغلطات النفسية المغالفة للديانة الإسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرنسيين لمحاربة الأمير"<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) انظر الأعلام خير الدين الزركلي ج ٤٥/٤ ، ٤٦ ، والإسلام وحركات التحرر العربية ٧١ ، ٧٢ والقدوة الصالحة حسني إبراهيم ج ١٤٥ ، ١٤٦ .  
 (٢) انظر حلية البشير الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٨٩٢/٢ .  
 (٣) انظر الإسلام وحركات التحرر العربية ٧٣ .  
 (٤) الإسلام وحركات التحرر العربية د/ أبو حليل ٧٣ .  
 (٥) انظر حلية البشير الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٨٩٢/٢ .

وبدا الخناق يضيق على الأمير المجاهد حتى حاصره فرنسا ونفذت ذخيره  
فاضطر إلى التسليم للفرنسيين<sup>(١)</sup> واشترط شروطاً للتسليم رضي بها الفرنسيون  
عام ١٨٤٧ م.

وبعدها نفى إلى نظوان . ومنها إلى أنيواز حيث أقام نيفاً وأربع سنين وزاوة  
نابليون الثالث فسرحه مشروطاً أن لا يعود إلى الجزائر فزار باريس والاستانة  
واستقر في دمشق حتى عام ١٨٨٢ م<sup>(٢)</sup> كما تقدم .

وكان من الممكن أن ينتصر الأمير لولا مؤامرة الغدر والحيلة من سلطان  
المغرب وبعض القبائل<sup>(٣)</sup> ولولا تأمر بعض الطرق الصوفية الأخرى وهي التيجانية  
يقول الدكتور محمد فتحي عثمان " وكان في مقدمة من عانى من مكائد اصطناع  
الاستعمار الفرنسي للطرفين الأمير عبد القادر نفسه رغم تكوينه الصوفي . إذ بارزة  
أتباع الطريقة التيجانية بالعداء وقد هك أسفارهم وكشف دعائهم وكانت له  
الغلبة عليهم<sup>(٤)</sup> .

فأما تلك المقاومة التي تدعو إلى المعجب — الأمير صوفي والطرق الصوفية  
هي التي جاهدت معه وقاومت المستعمر الفرنسي — ولولا مقاومة الطرق  
الصوفية<sup>(٥)</sup> لما استطاع الأمير مواصلة الجهاد والطرق الصوفية " التيجانية " هي  
التي وقفت ضده وحاربه أيضاً — ألا ينبغي ذلك على خبث المستعمر ومكره  
ودماله حيث استطاع أن يحدث هوة سحيقة بين الطرق الصوفية ويضرب بعضها  
ببعض ؟ كما ينبغي كذلك عن قابلية الطرق واستعدادها لهذا التلاعب .

(١) السابق ج ٢/٨٩٢ ، ٨٩٣ .

(٢) انظر الأعلام للزركلي ج ٤/٤٥ ، ٤٦ والإسلام وحركات التحرر العربية ٧٣ .

(٣) انظر اللدولة الصالحة حسني آدم ج ١ ، ١٤٧ والأعلام لخير الدين الزركلي ج ٢/٤٥ ، ٤٦ .

(٤) انظر دعوة الإصلاح الإسلامي بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والدعاة المعاصرين في الشرق  
العربي د/ محمد فتحي عثمان ٤٣٨ .

(٥) انظر الإسلام وحركات التحرر العربية د/ حوقي أبو خليل ٧١ .



وإذا كان الأمير قد استسلم لعدوه ورضخ لخصمه اللدود . مضطراً كما يقول الشيخ البيطار <sup>(١)</sup> بعد مشاورة وكلائه ووزرائه حيث سادت الحاجة والمسالك — وعز الخلاص — ولات حين مناص <sup>(٢)</sup> .

فإن الذي لا نسلم للأمير تقاضية مرتباً من عدوه — الذي كان يحاربه بالأسـ القريب وقد اعترف هو بذلك فقال إن إمبراطور فرنسا قد عين لي ما يكفي ويكفي من محي <sup>(٣)</sup> .

وسجل الشيخ عبد الرزاق البيطار إجمال المعاش الذي يعطاه من الفرنسيين بعد أن رجع إلى دمشق فقال \* وبعد أن ودع الأمير الإمبراطور ورجال الدولة توجه إلى وطنه دمشق الشام وكان قد زيد له في معاشه في كل سنة خمسون ألف فرنك . فصار جملة معاشه في كل شهر مئة ألف فرنساوية — إثنا عشر ألف فرنك \* <sup>(٤)</sup> .

ولم تلف فرنسا في استقطابها للأمير عند هذا الحد . بل أهدت له ليشاناً كبيراً أثناء زيارته لباريس عام ١٨٦٧م لتضمن ولائه وصدائقه وعدم معارضة مقارنتها مرة أخرى . وقد أظهر ولاؤه حين ألزمت فرنسا سنة ١٨٧٠م فأعلن كمال أسفه وتزين بتشافها الأكبر . وتخلّى عن ملاقة الناس مدة <sup>(٥)</sup> واعتبر السنوسي ذلك من أخيار وفائه وكان الأولى أن يعتبرها من أخيار ضعف ولائه وبرائه <sup>(٦)</sup> .

(١) انظر حلية البشر الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٢/٨٩٣ .

(٢) انظر الأعلام خير الدين الزركلي ج ٤/٤٥ ، ٤٦ .

(٣) انظر حلية البشر الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٢/٨٩٦ .

(٤) انظر حلية البشر الشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٢/٩٠٣ .

(٥) انظر الرحلة الحجازية محمد بن علي السنوسي ج ٣/٢٠٠ ولد لنا عن الانحرافات القليلة والطمية د/ علي بن محمد الزهراني ج ١/٥٤٠ .

(٦) انظر الانحرافات القليلة والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وآثارها في حياة الأمة على بن محمد الزهراني ج ١/٥٤٠ تقدم الشيخ محمد قطب دار طيبة — مكة المكرمة — ودار همار

الشارقة ط ٣ سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

واستطاعت فرنسا بذلك أن تكسب ولاء الأمير وصداقته . لدرجة أنه بدأ يعادي من يعاديهما ويتبرأ ممن يجارهما . فحين قام ابنه " محي الدين " بإعلان الجهاد ضد الفرنسيين وأراد مواصلة مودة أخرى مع بعض القبائل — تبرأ منه الأمير — وكان ذلك سبباً في انقضاء القبائل عنه وفشل حركته . ويذكر الشيخ البيطار أن تبرأة الوالد من الولد كان بسبب الضغوط التي عارستها فرنسا عليه . فالوالد يقيم عندهم . وقد أكرموا غاية الإكرام — وليس من المقبول أن يكرموا الوالد في فرنسا . ويجازهم الولد في الجزائر <sup>(١)</sup> وأرادت فرنسا أن تفعل بالولد ما فعلته بالوالد فتضمن ولاءه هو الآخر وأن لا يعاود الجهاد مرة أخرى . فعرضت له معاشاً كبيراً . بشرط ذكره الشيخ البيطار بقوله " أن يكون من رعيته هو وإخوته " ولكنه رفض فكان في موقفه هذا أفضل من أبيه <sup>(٢)</sup>

وبالتأمل في صفحات حياته نجد تحولاً عجيماً من الضد إلى الضد . فبداية الحياة كانت المقاومة . ولهايتها كانت المهادنة . بدايها كان البراء . ولهايتها كان الولاء . فقد كان للأمير في بداية جهاده للفرنسيين فرى يقول " بأن كل من يساعدكم فقد ارتد عن دينه " فماذا يقول هو عن موقفه الآن بعد أن نفوس <sup>(٣)</sup> ؟

ولو قارنا بين موقفه وموقف الشيخ عمر المختار لحكمتنا بصحة موقف الثاني . الذي أفر الإعدام شقاً حتى الموت ولم يستسلم . أما صاحبنا فقد أمتسلم لأعدائه وارتقى في أحضانهم وتقاضى مرتباً من أموالهم وعاش في بلادهم . يسرح فيها ويمرح . ناسياً أنه كان في يوم من الأيام أميراً للجزائر . وشيخاً للمجاهدين فيها . ثم قارن بينه وبين ولده محي الدين في ذلك وأجماً ما كان الأمر . فإن جهاد الأمير قبل استسلامه محسوب له . وبعد الاستسلام محسوب عليه . ولا ينتهي الجهاد في الجزائر باستسلام الأمير ونفيه . فقد ظلت بعض الطرق الصوفية تقاوم المستعمر

(١) انظر حلة البشر ج ٣/١٤٢٨ هـ .

(٢) السابق ج ٢/١٤٢٩ هـ .

(٣) انظر الإسلام وحركات التحرير العربية ٧١

الفرنسي بما أوليت من قوة محكنة . وكان من أبرز المجاهدين في جيش الأمير الشيخ محمد بن علال بن الولي الصالح الشيخ مبارك الدين القليعة وحفيدين زاويهما الذي تولى قيادة الجيوش . وخاض كبريات المعارك في تونس وهران إلى أن سقط شهيداً في أحد المعارك وقطعت رأسه ووضعت في جراب من جلد وأرسلت إلى مريديه وأتباعه .

كما شهدت منطقة الظهرة في شهر يناير من عام ١٨٤٥م معركة هامة أطلق عليها الفرنسيون " إنفاضة الطرق الصوفية " وذلك لمشاركة العديد من الطرق فيها — كالرحمانية والقادرية — والطيبية . وانضم اشعل من عرش أولاد رياح الساكنين<sup>(١)</sup> جنوب مدينة تونس . والذي كان له شرف المشاركة في هذه الثورة<sup>(٢)</sup> وشهد ربوع القطر العديد من الثورات كان من أبرزها . ثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف بـ " بومعزة " في منطقة الشلف والونشريس ١٨٤٥ — ١٨٤٧م من أتباع الطريقة الطيبية فقد استقر القبائل والأعراس بمنطقة الظهرة والشلف والونشريس واتسعت لتشمل البيطري والحضنة وجبال وبرة ومسور الغزلان . ثم امتدت إلى نواحي أولاد جلال حيث وجدت الزاوية المخاربية وشيخها الجليل المختار بن عبد الرحمن مقدم الطريقة الرحمانية كامل الدعم والمساعدة<sup>(٣)</sup> وقد قتل من رجال بومعزة الكثير ولكن القادة الفرنسيين كانوا يرغبون في الحصول على رأسه هو تخلصاً من ثورته<sup>(٤)</sup> .

(١) أولاد رياح الساكن جنوب مدينة تسي الجزائرية . وقد ذهب ضحية هذا الانتقام ١٠٠٠ من الأنفس التجأوا إلى بعض الكهوف فراراً من الغزو ما نفق عليهم بلسه وأرسلت على القواء الكهوف فمات جميع من فيها اختناقاً . انظر الإسلام وحركات التحرير العربية د/ هوني أبو خليل ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) انظر الطريقة وعلاقتها بالاستعمار متنبهات المهدي ١ — ٨

[http . H . w . w . w . olmahely net](http://H.w.w.w.olmahely.net)

(٣) انظر تاريخ الجزائر من ١٨٣٠ — ١٩٦٢م المقاومة الشعبية — مقال على شبكة الأنترنت .

(٤) انظر مقال الكاتب الفرنسي فرانسوا ماسيرو . فرنسا قتلت نصف مليون جزائري ما بين عام ١٨٣٠ — ١٨٥٦م مقال على شبكة الأنترنت .

كما قام الشيخ بو شعاعه " محمد بن العربي بن إبراهيم المولود ما بين عام ١٨٣٨ — ١٨٤٠م والذي ينتمي عقائدياً إلى الطريقة الطيبية . وإن كان ذلك لم يمنعه من التأثير بالطريقة السنوسية . قام بغزوة مع كثير من أتباعه ومريديه في المناطق الصحراوية على الفرنسيين . واستمر هذا الشيخ يقاومهم أكثر من ثلاثة وعشرين سنة حتى أطلق عليه لقب الأمير عبد القادر الثاني . ولم تستطع القوات الفرنسية القضاء عليه رغم محاولاتها الكثيرة في ذلك حتى وافقه المنية عام ١٩٠٧م — فكانت ثورته امتداداً لثورة سبقتها بقيادة أولاد سيدي الشيخ " سي سليمان بن حمزة ومحمد بن سي حمزة " ويطلق عليهم أولاد سيدي الشيخ في جنوب وهران<sup>(١)</sup> .

ولا ينسى تاريخ الجزائر الحديث ثورة ابن ناصر " بناصر " بنشهره ابن فرحات المولود عام ١٢١٩هـ — ١٨٠٩م قرب الأغواط . وكان على الطريقة القادرية . وكان كما يقول ابن منصور المؤرخ المغربي المشهور في بداية أمره موالياً للفرنسيين . ولذلك ولوه على قبائل الأرباح ومنحوه لقب آغا<sup>(٢)</sup> ولكنه القلب عليهم ونهذ حملتهم وشرع في مقاومتهم بالثورة عليهم مع بعض القبائل حتى اعتقله الفرنسيون . ووضع تحت الإقامة الجبرية . ومعه عدد كبير من أتباعه من رجال الأرباح . واستمر في جهاده إلى سنة ١٨٧٥م حتى أرغمه باي تونس على مغادره بلاده إلى الشام . فركب سفينة متوجهة إلى بيروت . ومنها التحق بدمشق إلى أن توفي بها عام ١٨٨٤م<sup>(٣)</sup> .

وفي عام ١٨٦٤م قامت ثورة ولدي سيد الشيخ ثم ثورة الحاج محمد المقراني . والشيخ محمد بن الحناد شيخ الطريقة الرحالية . في جبال الجرجرة . وشملت هذه الثورة بلاد زوادة ومقاطعة قسنطينة وذلك عام ١٨٧١م . واستغل الشيخ أحمد

(١) انظر الطريقة وعلاقتها بالاستعمار ١ — ٨ وتاريخ الجزائر ١٨٣٠ — ١٩٦٢م المقاومة الشعبية .

(٢) انظر اعلام العرب العربي لابن منصور ج ٢١٦/١ ط المطبعة الملكية الرباط .

(٣) السنين ٢١٦/١ وراجع حركات التحرر العربية د/ شوقي أبو خليل ٧٢ .

المقراني هزيمة فرنسا في حربها مع ألمانيا لتخليص بلاده من فرنسا . وتحمس لهذه الثورة أتباع الطريقة الرحمانية .. ونجح الشيخ الحداد في التأثير على أتباعه الذين عرفوا بالإخوان إلى حد أن رابطة الطريقة أصبحت مقدمة على رابطة القبيلة . وكان الدين من بين عناصر الثورة الأولى <sup>(١)</sup> .

وسيطرة هذه الثورة على ثلثي أراضي الجزائر . وعزلت جميع الحاميات الفرنسية في المنطقة وقدر عدد الذين اشتركوا في هذه الثورة بنحو ١٥٠ ألفاً منهم ١٢٠ ألف من الرحمانية <sup>(٢)</sup> .

ومع أن هذه الثورة صادفت ظروفاً سيئة في فرنسا إلا أن عمرها كان قصيراً . ذلك أن بسطارك .. رأى أن يخفف الهزيمة عن فرنسا فأطلق عدد كبيراً من الأسرى لمساعدتها على قمع ثورة الجزائر . ولسوء الحظ وقع الشيخ المقراني صريعاً في المعارك الأولى عام ١٨٧١ م .. وخلفه أخوه الشيخ بو مرزاق المقراني . وكان أشد مراساً من أخيه وظل يجاهد هو ومن معه حتى اضطرتهم فرنسا إلى الخروج إلى الصحراء . واستمروا يتجولون فيها إلى أن أهلكهم الجوع والمطش حتى انقطفهم دورية فرنسية <sup>(٣)</sup> .

ولم تكف فرنسا بذلك بل شكلت محكمة وحكمت بالإعدام على ستة آلاف من الثائرين ثم خفف الحكم بالنفي إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة <sup>(٤)</sup> ومن بين هؤلاء بو مرزاق وأسرة الشيخ الحداد . كما فرضت عليهم غرامة قدرها ٣٦ مليون

(١) الإسلام وحركات التحرير العربية ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) السابق ٧٥ .

(٣) انظر الإسلام وحركات التحرير العربية ٧٥ ، ٧٦ وحدث في العام الهجري . ثورات حسية في رحلة النضال الجزائري الأستاذ مصطفى مشهور

[http : N w . w Eole a bi](http://www.Eolea.bi)

(٤) كاليدونيا . مستعمرة فرنسية في جنوب المحيط الهادي . وكان عدد الثائرين إليها ٥٠٠ من كبار الثوار . انظر حركات التحرير ٧٦ .

فترك فلما عجزوا عن دفعها صادرت أملاكهم وأجلبهم عن أرضهم وأعطتها  
لهاجرين من الأتراك واللورين<sup>(١)</sup>.

ويذكر أحد الباحثين " أن دور مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر والذين  
يسمى بعضهم المؤرخين بالنخبة التقليدية أو النخبة القديسة لم تقتصر على تزعم  
حركات المقاومة المسلحة . بل وأيضاً على مقاومة سياسة التفرقة والتبشير  
الفرنسية . ويرجع العديد من الكتاب الفرنسيين . فشل سياسة الفرنسية إلى الزوايا  
التي بقيت منعشة في طول البلاد وعرضها . رغم قضاء الفرنسيين على الكثير منها  
.. وهذا التحليل صحيح إلى حد بعيد . فإن هذه الزوايا .. تعد جمعيات سرية من  
الدرجة الأولى . وحين اكتشف الفرنسيون خطورة هذه الزوايا بعيد ثورة العرق  
عام ١٨٤٥م اتبعوا معها طريقة " فرق تسد " لكي يمتعوا أو يضعفوا أي تحالف  
مستقبلي بين الجمعيات " (٢)

رغم الأمتلاء صلاح العقاد ثورة المقراني والحداد نهاية المقاومة الوطنية  
المسلحة إلا إذا امتدنا بعض المناوشات في الصحراء الجزائرية<sup>(٣)</sup>.

## ٥. المغرب :

يجازر إلى الآن عند ذكر المغرب جهاد بطل الريف وأسنده ومؤسس  
جمهورية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطاطي الذي أجمع الناس على أنه أحق إنسان  
يلقب بطل الإسلام<sup>(٤)</sup>

(١) الإسلام وحركات التحرير العربية ٧٦ ونقل ذلك من الجزائر لآخر المارك د/ يحيى الدين زيان ٨٩ .

(٢) انظر التصوف الثورة الروحية في الإسلام السفير محمد والي مدونات مكتوب abonzahraa  
مقال على شبكة الإنترنت .

(٣) انظر المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر . د/ صلاح العقاد ١٢٧ ، ١٢٨ مكتبة الأنجلو  
المصرية القاهرة ط ١٩٩٢ م .

(٤) انظر حاضره العالم الإسلامي لوفروب دارة الأمن يكي مع مدمات وإضافات أمير البيان حكيم  
أرسلان ج ١٩٤/٣ .

يقول عنه شكيب أرسلان : إنه بطل الإسلام . وأسدّه الضرغام . والعلم  
المفرد الذي سار بذكره القاضي والداني . والخاص والعام . لا . بل إذا نظر الناس  
بعين الإنصاف يجدون بطل العصر الحاضر بين جميع الأمم لا بين المسلمين  
وحدهم<sup>(١)</sup>

ولد هذا الأمير في بيت علم وجهاد في بلدة أجدير بشمال المغرب عام  
١٢٩٩هـ - ١٣٨٢هـ - ١٨٨٢م - ١٩٦٣م . كما يقول الزركلي<sup>(٢)</sup>  
وحفظ القرآن في صغره . وبعث مع والده إلى القرويين بفاس . فتعلم العلوم  
العربية والشرعية ثم التحق بجامعة سمسكا بأسيان<sup>(٣)</sup> فجمع بذلك بين الثقافة  
العربية . وبعض النواحي من الثقافة الأوروبية<sup>(٤)</sup> ثم عين قاضياً بمدينة قليلة . ولما  
وجد ظلم الأسيان<sup>(٥)</sup> وما أحدثوه في بلادهم من ظلم وعدوان ترك العمل معهم  
وانضم إلى رجال قبيلته .

ولم يكن تصوف الأمير وزعمه أقل شأنًا من شجاعته وبطولته . وربما كان  
تصوفه وزعمه من أسباب شجاعته وبطولته . جاء في كتاب الأمير عبد الكريم  
الخطاي بطل الشمال الأفريقي " اعتكف في جزيرة زنبون " (٦) عشر سنوات . في  
رياضة روحية لفصل نفسه وتصنيفها خصوصاً . والأمير مسلم صوفي نشأ على محبة  
الله ورسوله وحسب الصالحين . ولم يكن ليجاهد هذا الجهاد . ويسطر صفحات  
خالدة في التاريخ لو لم يكن كبير الإيمان . كبير القلب عظيم الهمة عبقري الصفات

(١) المسائل ج ٣/١٨٤ وتاريخ إفريقيا في العصر الحديث والمعاصر د/ حوقي الجمل وعبد الله عبد  
الرواق إبراهيم ٢٣٧ ، ٢٣٨ دار الثقافة للنوحة ط ١ ١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م .

(٢) انظر الأعلام للزركلي ج ٩/٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣) انظر تاريخ إفريقيا في العصر الحديث والمعاصر ٢٣٦ والأمير المجاهد عبد الكريم الخطاي أمير لاهور  
ودولة لاهور الأستاذ مصطفى عاشور ٢ مقال على شبكة الإنترنت .

(٤) انظر حاضره العالم الإسلامي ج ٣/١٩٥ والأمير المجاهد للأستاذ مصطفى عاشور ٢

(٥) حاضره العالم الإسلامي ج ٣/١٩٥ .

(٦) شرق المغرب الحندي .

جاعلاً مقله الأعلى دائماً أبدأ الرسول الكريم محمد صلوات الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> وكان لهذا الاعتكاف وتلك النشأة أثرهما على الأمير لبدأ بعدهما رحلة طويلة من الكفاح ضد الأسباب<sup>(٢)</sup> والفرنسين معا .

وعاش الأمير متصوفاً مجاهداً لم تفره المناصب والنياشين . عرض عليه محمد الخامس رتبة مارشال . ورصد له البرلمان الهندي منحة مالية لفرض ذلك كله<sup>(٣)</sup> .

ويصف المسير جاك مارسيلياك الفرنسي . سكن الأمير وأعوانه فيقول " إنما كلها أبنية بسيطة ليس فيها شيء من صنعة البناء ولا تطاول البنان ... وذكر منها المقعد الذي أستقبله فيه الأمير . وليس فيه شيء سوى حيطان مجبرة بالكلمن البسيط بدون زخرف ولا نقش . وبعض كراسي من الخناجر المأخوذة من الأسبان<sup>(٤)</sup> وهذا مما يدل على زهد الأمير وتشفه في الحياة كما يدل كذلك على أن المال لم يغريه وللتصوب لم يطفه . ولا عجب لي ذلك فقد قيل إنه شريف فاطمي . ويجوز أن يكون قرشياً<sup>(٥)</sup> وفي ذلك رد على من قال إنه ليس بعربي ويذكر أحد الباحثين أن الأمير محمد ابن عبد الكريم كثره من الزعماء السياسيين الذين يجمعهم قاسم مشترك هو التصوف فيقول : " وتوقفت طويلاً أمام كفاح الأمير عبد القادر الجزائري والأمير محمد عبد الكريم الخطابي . والسيد عمر المختار في ليبيا . وكان القاسم المشترك بين كل هذه الزعامات الإسلامية إنما تسير على هدى من التصوف . وهو ما لفت نظري وأوقف فكري . وملك على نفسي<sup>(٦)</sup> " .

(١) انظر الأمير عبد الكريم الخطابي . بطل الشمال الأفريقي . محمد عبد النعمان الهامي ومحمد عبد الوارث الصوفي ٨٨ ط دار الكتب العلمية ط ١٩٥٨/١ م والإسلام وحركات التحرير ١٩٧ .

(٢) انظر الإطار الدفاعي ضد الصولية ٩٩ .

(٣) انظر مقدمات معارف تاجز مقال على شبكة الإنترنت .

(٤) حاضره العالم الإسلامي ج ٣/٧٠٠ وتاريخ أفريقيا الحديث للعاصر ٢٢٤ دار النهضة العربية بيروت لبنان ط/١٩٨١ م

(٥) السابق ج ٣/١٩٤ .

(٦) انظر الطرق الصولية في القارة الإفريقية د/ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم • وأخوة على الطرق الصولية في القارة الإفريقية له أيضاً ٢ والإسلام وحركات التحرير العربية ١٩٩ .



ولكن ما هي الطريقة الصوفية التي يتسبب إليها الأمر ؟

لا نعرف طريقة صوفية ينتمي إليها الأمير على وجه الجزم واليقين . ولكن الذي يبدو أنه كان على الطريقة القادرية . لأنها من أكثر الطرق ذيواعاً وانتشاراً في المغرب عامة ومراكش خاصة . بلد الأمير . يقول أحد الباحثين " وقد سيطرت الطريقة القادرية في مراكش على الحياة الدينية والاجتماعية طوال القرون التالية لدخولها . وهذا ما جعل المنطقة مسعدة لأية أفكار صوفية جديدة " (١)

وتصرف الأمير كان تصوراً إيجابياً دفعه إلى مجاهدة المستعمر ومقاومته في بلاده بعد ما رأى احتلالهم للأرض . واغتصابهم للعرض (٢) ونهبهم للمال وإذلالهم للرجال . " مجمع أنصاراً من وريثي قبيلته . وقد آلت إليه زعامتها بعد أبيه وقتل الأسبان فظفروا بهم في معركة أنوال من جبال الريف في يوليو عام ١٩٢١ " (٣) . وغنم فيها مغانم عظيمة (٤) كانت عدة وعشاً له في مواصلة قتاله لهم . وقد وصف المؤرخون هزيمة أسبانيا أنها كانت قاسية .. وقد هزتها هزة عنيفة في تاريخها الحديث (٥) .

ويقول الدكتور جلال يحيى " لم يكن أي جيش أوروبي قد ذاق هذه الهزيمة الساحقة على أيدي الوطنيين فيما وراء البحار منذ هزيمة القوات الإيطالية في عدوة سنة ١٨٩٦م (٦) إذ لم تعود أوروبا أن تجد أمة إسلامية غالبية على أمة مسيحية . ولا تروى أمة متدبة أو غير متمدنة ظاهرة على أمة متمدنة راقية . لاسيما وهوة

(١) انظر الطرق الصوفية د/ عبد الله عبد الرزاق ٣٧ واحواء على الطرق الصوفية له أيضاً ٣٦ ، والدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر الفضة الإسلامية توماس أوتولد ٣٦٥ ترجمة حسن إبراهيم حسن وزملاؤه . مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط ١٩٧٠/٣

(٢) انظر حاضر العالم الإسلامي ج ١٩٥/٣ .

(٣) انظر الأعلام للزوكلي ج ٢١٦/٦ ، ٢١٧ .

(٤) انظر حاضر العالم الإسلامي ج ١٩٦/٣ ، ١٩٧ ، وتاريخ المغرب الكبير د/ جلال يحيى ج ١٢٧/٤ .

(٥) تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ٢٢٤ .

(٦) تاريخ المغرب الكبير ج ١٢٧/٤ .

الفرق بينهما عميقة جداً في العدد <sup>(١)</sup> والعدد وتنهت معاركه معهم فأحتل مفسشارون ١٩٢٥م وحاول احتلال نطوان وأرسل من يهدد ثائرة في جيش قواته مائة ألف <sup>(٢)</sup> وإن كان هذا لا يقارن بجيش الأسبان والآنهم الحرية الجبارة حتى إنهم رموا قوى الريف بالغازات السامة. فقتلوا كثيراً من الأطفال والنساء والضعفاء <sup>(٣)</sup>. وخاف الفرنسيون إمتداد ثورة الأمير إلى داخل المغرب فتحالفوا مع الأسبان وأطبقت عليه الدولتان فاستسلم مضطراً إلى الفرنسيين في ١٩٢٦/٢٥م وكان سبب ذلك ضعف قواته إذا ما قورنت بقوة النوفين ولذلك اعتبر مواصلة الجهاد الصخاراً <sup>(٤)</sup> وبحالة بعض قوى الريف حيث استطاع الأسبان أن يرشوا بعض القبائل " قلعية " و " يويحي " بواسطة رجل يقال له عبد القادر بن شلال فأنجازوا إلى الأسبان . ولولا حياة هذه القبائل لم يبق أحد من الأسبان في تلك الديار <sup>(٥)</sup> بالإضافة إلى استسلام بعض القبائل <sup>(٦)</sup> الأخرى وآخر الأسباب استسلام الفرنسيين لبعض ذوى النفوس الضعيفة من أصحاب الطرق الصوفية حيث أمدوهم بالمال والسلاح ليحدثوا اضطرابات في دولة الريف . ولكن قوة الريفيين وحسن تنظيمهم ولقد ارقم القتالية قوت عليهم هذه الفرصة وغسر الفرنسيون عسيرة فادحة <sup>(٧)</sup>

وقد كشفت هذه القلعة للأمير عن حقيقة الطرق الصوفية في البلاد وإنهم ليسوا على قلب رجل واحد وإنهم لم يتفقوا فيما بينهم ومن السهل استئراجهم .

(١) انظر حاضره العالم الإسلامي ج ١٨٩/٣ .

(٢) الأعلام للزركلي ٢١٦/٦ .

(٣) انظر تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر د/ شوقي الجمل وعبد الله عبد الوزاق إبراهيم ٢٣٥ .

(٤) انظر حاضره العالم الإسلامي ١٩٠/٣ .

(٥) السابق ج ١٩٦/٣ .

(٦) انظر المغرب الكبير في الفترة المعاصرة . وحركات التحرر والاستقلال د/ جلال هي ج ١٨٧، ١٨٩/٤ .

(٧) انظر تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر د/ شوقي الجمل وزميله ٢٣٠ والأمير المجاهد عبد الكريم

الخطاطي أمير دلم ودولة نقشة مصطفى عاشور ٦ مقال على شبكة الإنترنت

وإزاء هذه الأسباب رأى الأمير أن أقل الخسائر والأضرار هو الاستسلام .  
بعد أن أقام دولة وأحيا أمة وأثار طريق الجهاد للسالكين من بعده وفي يوم ٢٧ مايو  
عام ١٩٢٦م أمر بإطلاق سراح الأسرى الأوروبيين ودخل على القوات الفرنسية  
كتفاند أعلى وأدت له القوات النحية العسكرية وانطلق الأمير على صهوة جواده  
— يرافقه الثمان وعشرون فارساً إلى قرية ستاد حيث طلبوا الحماية من شريفها الذي  
نصحهم بالاستسلام للفرنسيين . وباستسلامه انهارت المقاومة في الريف <sup>(١)</sup> .

وأخضع فرنسا ونفته إلى جزيرة ريونيون في بحر الهند وعاش الرجل وأسرته  
وبعض أتباعه أكثر من عشرين سنة قضاها في الصلاة والعبادة وفي عام ١٩٤٧م  
قررت فرنسا نقل الخطابي وأسرته إليها لتضبط به على الملك محمد الخامس لمطالبته  
الدائمة بالاستقلال غير أنها استجارت من الرضاء بالنار . فعندما وصلت الباخرة  
التي نقله إلى ميناء بورسعيد التحق إلى السلطات المصرية التي رحبت ببقائه على  
أراضيها واستمر بها إلى أن توفي عام ١٩٦٣م <sup>(٢)</sup> .

وإذا كان الأمير عبد القادر الجزائري والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي قد  
استسلما خصميهما . إلا أن هناك فرقاً بين الاستسلامين . فاستسلام الجزائري  
ترب عليه التحول من الضد إلى الضد ووصل به الأمر إلى منع ابنه من مجاهدة  
المستعمر ومقاومة المحتل وقد وإلى فرنسا ولقي في أحضانها وترتها بنشأها وعاش  
على نفقتها . وهذا كله لم يفعله الأمير الخطابي .

وتذكر المصادر أن الطريقة البرقاوية — وهي فرع من الشاذلية <sup>(٣)</sup> وتسبب  
إلى العربي البرقاوي ت عام ١٢٣٩هـ <sup>(٤)</sup> كان لها دوراً فاعلاً في مقاومة  
الاستعمار الفرنسي في المغرب <sup>(٥)</sup>

(١) انظر تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ٢٣٥ والمغرب الكبير د/ جلال يحي ج ١٩٧/٤ .  
(٢) انظر الأعلام للزركلي ج ٢١٧/٦ والمغرب الكبير د/ جلال يحي ج ١٩٧/٤ وتاريخ المغرب د/ شوقي  
الحمل وزميله ٢٣٥ ، ٢٣٦ والأمير محمد عبد الكريم الخطابي أمير نازر ودولة تاشنت دمشق هاتور ٨ .  
(٣) انظر نظرية المؤامرة أوهم أم حقيقة ؟ الصوفية / مولف صادق المطار ٣٣٧ دار الأوقاف سورية  
دمشق ط ٢٠٠٦/١ .

(٤) انظر حركة الدعوة بين القبائل الأمازيغية الأساذ أحمد تحت محمد ١ — ٤ .  
Eo be an lin net  
(٥) انظر حاضر العالم الإسلامي ج ٣/٢٩٦ والإطار اللغوي عند الصوفية أسد الخطيب ٩٩ .

ويناقض هذا القول أحد الباحثين ويقول أن لوتي Louty المقيم العام الفرنسي في المغرب .. استغل المناقشات الشخصية للإيقاع بين زعماء الثورة وإحداث فرقة في صفوف القوات وراح يحالف مع بعض مشايخ الطرق الصوفية وخصوصاً شيخ الطريقة الدرقاوية . لكن نجاح عبد الكريم وقضائه على خصمه الرسولي جعل القبائل المترددة تنضم إليه وفشلت دبلوماسية لوتي في الإيقاع بين الزعماء في منطقة الريف " (١) وربما كان ذلك في أول الأمر لكن نجاح الأمير عبد الكريم في القضاء على خصمه وانتصاره على المحتل جعل القبائل المترددة تنضم إليه وتدخل تحت لوائه وهذا ما كان من أمر الدرقاوية .

وإذا كان الأمير قد استسلم ونفاه الفرنسيون إلى ريونيون فإنه قد خلف عدداً كبيراً من المريدين حملوا بعنه راية الكفاح واعموا بقطف ثمار جهادهم (٢) وكلل ذلك باستقلال المغرب في الخمسينات من القرن العشرين

## ٦ . في الصومال ،

في نهاية القرن التاسع عشر احتلت الصومال من قبل بريطانيا وإيطاليا وتقاسموا فيما بينهم . واستفاد الأحماس من عمليات التقسيم فتوسعوا على حساب جيرانهم طبقاً لقنوات مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م (٣) . وفي تلك البقعة ظهرت شخصية الزعيم والمجاهد الكبير محمد عبد الله حسن الذي قاد جهاد المسلمين وجنود المرحدين ضد قوى المستعمرين .

وهذا القائد في الأصل من قبيلة عربية هاجرت هذه المنطقة في القرن السابع الميلادي واستوطنتها وكانت ولادته في ١٧ أبريل عام ١٨٦٤ م بالقرب من بوهوتلي Bohotly في شمال الصومال .. ولا يعرف إلا القليل عن والد السيد

(١) انظر تاريخ أفريقيا الحديث د/ شوقي الجمل وزميله ٢٣٠ وتاريخ المغرب في القرن العشرين روم لاتندو ١٥٣ ترجمة فؤاد زيادة ط بيروت لبنان ١٩٩٣ م .

(٢) انظر الإطار الدلالي عند الصوفية ٩٩ .

(٣) انظر المسلمين والاستعمار الأوربي لأفريقيا د/ عبد الله عبد الرازقي إبراهيم ٢٢١ سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٣٩ / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

محمد عبد حسن لكنه كان مهتماً بتعليم ابنه . وكان ينتمي إلى فرع محجري من الأوجادين الجنوبية التي كانت تحت الإدارة الحبشية<sup>(١)</sup>

أرسله والده إلى مدارس القرآن الكريم .. وما أن انتهى من حفظ القرآن حتى شارك أستاذه في تحفيظ الطلاب لهذا الكتاب الكريم . وبدأت مرحلة جديدة من حياته استعملها بالاتصال بالعلماء والشيخ المحلين بقصد التزود بالمعارف الإسلامية والعلوم الشرعية والأوربية<sup>(٢)</sup> وحج بيت الله الحرام . وتلقى مبادئ الثورة المهدية في الحرم النبوي الشريف . ثم عاد إلى الأوجادين فالتف حوله الطلاب وأخذ يلقتهم بتعاليم الدين وأصول الجهاد<sup>(٣)</sup> وقد وجدوا فيه العالم المظف الذي يساعدهم على فهم علوم الدين فأنسوا به ووقفوا معه وكانوا نواه جنوده المخلصين<sup>(٤)</sup>

وتأثر الشيخ بالطرق الصوفية التي كانت سائدة في الصومال . فهناك الطريقة القادرية والصالحية والأحمدية والرفاعية<sup>(٥)</sup> وغيرها . وقد لعبت هذه الطرق دوراً بارزاً في تاريخ الصومال قديماً وحديثاً . وخاصة الطريقة الصالحية في مجاهدة المستعمر ومقاومة المحتل .

وكان السيد محمد عبد الله حسن من أبرز خلفاء شيخ الطريقة الصالحية . ويدعي محمد صالح الراشدي ت ١٨٥٤ - ١٩١٩ م<sup>(٦)</sup> والصالحية مشتقة من الطريقة الأحمدية التي أسسها الشيخ أحمد بن إدريس القاسي ١٧٥٨ - ١٨٣٦ م<sup>(٧)</sup> .

(١) انظر المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم ٢٢٤ وتاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم د/ شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم ٣٨ دار الثقافة للنشر والتوزيع الطبعة القاهرة ١٩٩٦ م .

(٢) المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ٢٢٤ .

(٣) الإسلام وحركة التحرر العربية د/ شوقي أبو خليل ١٢٩ .

(٤) انظر المسلمون والاستعمار الأوربي وقد نقل ذلك من تطور حركة الجهاد الوطني في الصومال ١٩٠٠ - ١٩٦٠ م عام هام خام ٢٨ ط القاهرة ١٩٨٣ م .

(٥) انظر الصومال بين الأمم واليوم . إعداد إدارة الشؤون الإسلامية . مجلة الوعي الإسلامي ٨٨ - ٩٢ ع ٧١ ديسمبر ١٩٧٠ م والمسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ٢٢٢ .

(٦) المسلمون والاستعمار الأوربي ٢٢٦ .

(٧) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم ٤٥ .

واستطاع هذا القائد بعد أن اعتنق مبادئ الطريقة الصاخية أن يكون خليفة لمؤسسها وأن يقوم بنشرها بين سكان الصومال بدرجة أصبحت تنافس فيها الطرق الصوفية الأخرى . وفي الوقت نفسه قاد هذا الزعيم الصومالي الجهاد لنشر الطريقة في مختلف ربوع الصومال . ثم مقاومة التوسع الإمبريالي المسيحي من جانب الأحماس والتوسع الأوربي من جانب البريطانيين والإيطاليين ... وظل هذا الشيخ يحمل السيف ويقود بلاده من نصر إلى نصر مدة عشرين عاماً أو تزيد حتى انتهى كفاحه البطولي في ١٩٢٠م<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر بعض الباحثين أسباب قيام الشيخ محمد عبد الله حسن بالثورة ضد الإيطاليين والبريطانيين وكان أبرز هذه الأسباب هو الاستعمار والفساد الإجرامية<sup>(٢)</sup> . وكانت بدايتها على مشارف مدينة "بوهو" حيث وقعت معركة وهية بينه وبين الإنجليز — استشهد فيها ثلاثة من الطلاب "الدارويش" وقتل سبعة من الإنجليز وفر الباقون وجأ الملاً — محمد حسن — إلى لاس عانود ودعا الناس إلى القتال والجهاد . وأخذ يدرّب الشباب على فنون القتال وجعل حصن "تاليج" Talah مقراً له والعقبة لهم في موقعة "بيرا" وكان النصر حليفه هو ومن معه من الدارويش فقد أرسل القائد الإنجليزي "كوفيل" رسالة للملا يقول له فيها "بعدم هذه المدينة "تاليج" وإلا هدمناها فوق رؤوسكم . فكان جواب الملا عليه . لا أريد عليك حتى تصل إلينا . وسعري بعينيك الجواب . وبعد عامين وقعت المعركة ، وتحكّن الدارويش بقيادة المجاهد المسلم من قتل القائد كوفيل ووقف القائد على رأسه وقال له يا أيها الكافر لقد توجهت إلى الآخرة . ومالك بقية من حياة . وإن رأيت جماعة لك في النار فقل لهم وقع الرصاص في فمي . ودخلت الرماح كتفي . وأذكر هناك قولك وقوة بريطانيا معك<sup>(٣)</sup> وهذه الهزيمة جعلت الإنجليز يلقبونه بلقب The

(١) انظر المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا د/ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) انظر المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ٢٢٨ ، ٢٢٩ والإسلام وحركات التحرر العربية ١٢٩ .

(٣) انظر الإسلام وحركات التحرر العربية د/ هوفي أبو خليل ١٣٠ ، ١٣١ والمسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

**Mad Molah** أي الشيخ المنبون<sup>(١)</sup> كما وصفوه بأنه مهدي الصومال تشبهاً بمهدي السودان<sup>(٢)</sup> وهذه الألفاظ صدرت من الغربيين وللأسف تابعهم فيها بعض الباحثين من العرب وكلها غلط من قدر هذا المناضل الكبير الذي مرغ القواب البريطانيين والإيطاليين في العرب وقاد بلاده من نصر إلى نصر . رغم الحملات<sup>(٣)</sup> المكثفة التي قامت بها بريطانيا للقضاء عليه وعلى أتباعه وأخيراً يصل إلى مدينة إيمي داخل أراضي الأوجادين . ويصاب بمرض أدى إلى وفاته ١٩٢٠ م . بعد عمر دام ستة وخمسين عاماً قضى معظمها في الجهاد والكفاح ونشر العلم ووضح طريق الحرية والوحدة لأرض الصومال كلها<sup>(٤)</sup> . وهكذا كان السيد بطلاً قومياً ومعلماً ربانياً وشيخاً لطريقة إصلاحية صوفية . ومجاهداً بالسيف والعلم . ومعلماً لمبادئ الطريقة الصالحية التي ضارعت ونافست أقوى الطرق في المنطقة المغربية ومصارعاً لقوى الشر والعنوان بشكل لم يسبق له مثل في القارة الأفريقية<sup>(٥)</sup> .

وما ينبغي ذكره في الصومال ولقوع الصراع والتنافس بين الطرق الصوفية — القادرية بقيادة الشيخ عويس بن محمد البراوي — المولود في برادة ساحل الصومال الجنوبي عام ١٨٤٧ م والصالحية بقيادة الشيخ محمد ابن عبد الله حسن القائد الصومالي المتقدم .

ويرجع هذا الصراع والتنافس إلى اختلاف في الأفكار والمبادئ والمنهج . لكل طريقة أفكارها ومبادئها ومناهجها . التي تختلف به الأخرى ، فالطريقة الصالحية — طريقة لها ميول سلفية مثل السنوسية . وهي تعارض بشدة فكرة زيارة القبور على أمل الحصول على الوساطة والبركات<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم د/ شوقي الجمل وزميله ٣٩ .

(٢) انظر المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ٢٢٣ .

(٣) السابق ٢٣٧ ، ٢٥٩ .

(٤) انظر المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ٢٦٢ والإسلام وحركات التحرير العربية ١٣١ ، ١٣٢ .

(٥) المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ٢٦٢ بصرف .

(٦) الطرق الصوفية في أفريقيا د/ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ٤٥ .

وتعرض أتباع الطريقة القادرية إلى نقد مرير من خصومهم بسبب عادة الوساطة من خلال الشيوخ . وأعلنت الطريقة الصالحية أن زيارة القبور غير صحيحة من وجهة النظر الإسلامية وبسرعة هاجم الشيخ عويس الطريقة الصالحية زعيمها السيد محمد عبد الله حسن وأتباعه واعتبرهم من الشياطين واستمر الصراع بين الطريقتين كتهم كل منها الأخرى حتى انتهى بقيام فرقة من رجال الطريقة الصالحية بقتل الشيخ عويس في ١٤ إبريل ١٩٠٩م وكان ذلك في بيولي Biolay التي تبعد حوالي ١٥٠ ميلاً شمالي برادة<sup>(١)</sup> .

والمسألة المختلف فيها لا تؤدي إلى قتل أمراً . والقتل كما لرى سببه الجهل وعدم القلق في الدين . وإذا وقع الجهل ارتفع العلم وحدث ما لا نحمد عقباه . وأما ما كان الأمر فإن الذي لاشك فيه أن حركة محمد عبد الله حسن كانت خطوره هامة وخطيرة في تاريخ الصومال أدت في النهاية إلى قيام جمهورية الصومال المستقلة عام ١٩٦٠م<sup>(٢)</sup> .

#### ٧ . في موريتانيا :

ابتليت موريتانيا كما ابتليت غيرها من الدول الأفريقية بالاستعمار — الاستعمار الفرنسي — فقد بدأ التدخل الفرنسي فيها منذ عام ١٨٥٤م وذلك بإرسالها حملات كانت تنطلق من مستعمراتها "السنغال" وفي عام ١٩٠٢م غزا الفرنسيون موريتانيا<sup>(٣)</sup> وفي عام ١٩٠٣م أعطوا الحماية عليها<sup>(٤)</sup> .  
وكعادة الإسلام قام للودود عن أرض الوطن . قام ليأخذ دوره الطبيعي في مكافحة الاستعمار فكانت المقاومة بزعامة الشيخ ماء العينين .

(١) السابق ٤٥ .

(٢) انظر تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم د/ شوقي الجمل وزميله ٣٩ .

(٣) كانت تصرف قبل عام ١٨٩٩ ميلاد الشنقيط . وصاحبنا من الشنقيطين انظر للإعلام للزركلي ج

٧٤٣/٧

(٤) انظر الإسلام وحركات التحرير العربية د/ شوقي أبو خليل ٢٢٢ .



وماء العينين : هو مصطفى بن محمد فاضل بن محمد قاتنين الشنطري القلنمي .  
 أبو الأنوار الملقب بماء العينين من قبيلة القلاقمة من عرب شقيط مولده ببلدة  
 الخوض ١٨٣٠م ووفاته في تزيت من مدن السوس الأقصى عام ١٩١٠م وقد  
 على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج وحظي عندهم بمكانة عالية . وكان مع  
 اشتغاله بالحديث واللغة والسيرة له معرفة بما يسمى "علم خواص الأسماء والجداول  
 والدوائر والأوقاف وسر الحروف وقصده الناس لهذا<sup>(١)</sup> فالرجل عالم . وله  
 مؤلفات كثيرة منها المطبوع والمخطوط<sup>(٢)</sup> وله كتاب في التصوف سماه " مبصر  
 المشوف"<sup>(٣)</sup> وصاحب طريقة . والطريقة التي اعتقها . الطريقة الفاضلة . وقد  
 أسسها والده وهي فرع من القادرية<sup>(٤)</sup> وهي مسماة باسمه " محمد فاضل " .  
 وكان تصوف الرجل منهجاً وسلوكاً فقد جاء في مقال الشيخ الحاج أحمد  
 معينو " أن ماء العينين كان ملجأ للخائفين . ومورداً للجائعين . ومنهجاً للعائنين  
 العائدين . ورحمة للضعفاء والمساكين . وحد بين أبناء الأمة المسلمة وأخى بين  
 أفرادها . كما كان رحمه الله ذا أنفة إسلامية تمتعه من الانصواء إلى الأجانب . بل  
 كان من أعدى أعدائهم بالصحرَاء .. ومن أهم أعماله جهاده . ورياطه جاشه في  
 سبيل الله ضد العدو المحتل واستمراره في جهاده حتى القادرية<sup>(٥)</sup> فالشيخ كان قائداً  
 روحياً قبل أن يكون زعيماً سياسياً ولا عجب في ذلك فهو شريف حسني<sup>(٦)</sup> كما  
 يقول الزركلي فيه .

(١) انظر الأعلام خير الدين الزركلي ج ٢٤٣/٧ .

(٢) انظر الأعلام للزركلي ج ٢٤٣/٧ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٥٠ - ١٩١٤م د/

إمام ذبني ٢٠٠ دار الريبغ للنشر والتوزيع . الرياض ١٩٨٨م .

(٥) انظر الإسلام وحركات التحرير العربية د/ شوقي أبو خليل ٢٢٣ وقد نقل ذلك من مجلة

الاعتصام الرباط من ٤٨ - ٥٢ غ ٢ السنة ١ جمادى الثالثة ١٣٩٥هـ - يولية ١٩٧٥م .

(٦) الأعلام للزركلي ج ٢٤٤/٧ .

والشيخ مواقف ووقائع في مقاومة المستعمر الفرنسي والأسباني في المغرب .  
وقد أسند الشعب المغربي له في الأيام الأخيرة من حياته قيادة الجهاد واجتمع لديه  
جيش من تلاميذه ومن رجال القبائل وسائر قبائل السوس . واستطاع أن يزحف  
نحو فاس لأنقاذا من أيدي المستعمرين . وواصل الشيخ وتلاميذه الجهاد . وأوقع  
بالفرنسيين خسارة عظيمة . واصطَلوا بنار مسعرة في يوم مذكور " يوم ناذلة " (١)  
ولم يستطع الفرنسيون أن يقاتلوا من جهاده إلا بعد أن حشدوا له قواهم (٢)  
واستعملوا السلطان العلوي للضعف " عبد الحفيظ " الذي كان  
متعاوناً معهم (٣) وأشد ما يكون على المجاهدين الشرفاء والمناضلين الأحرار أن  
يظعن من الساحل ومن يظن به المساعدة والمعونة . وصدق الشاعر إذ يقول :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

ومع ذلك فقد وجد المستعمر صعوبة في اختراق موريتانيا والصحراء بفضل  
هذا الشيخ ومن معه من المجاهدين (٤) وظل الشيخ وقياً للجهاد والمجاهدين . مدافعاً  
عن بلاده حتى وافته المنية عام ١٩٢٠م ولم ينته الجهاد بموت الشيخ . وإنما حمل  
الراية من بعده وقاد الجهاد والمقاومة ابنه هبة الله (٥) الذي سار على درب والده واتبع  
طريقته حتى نالت موريتانيا استقلالها فيما بعد .

(١) انظر الأعلام للزركلي ج ٧/٢٤٤ هامش ١ .

(٢) السابق ج ٧/٢٤٤ هامش ١ .

(٣) انظر التظاهرة الماركسية العالمية لعام ٢٠٠٢م مركز نضال الصحراويين . التاريخ والألقاب

. www.Marpy.com

(٤) انظر لفته وشيخ صولي يقاوم الاستعمار مجلة المرحلة الأربعاء ١٩/٤/١٤٢٧هـ - الموافق

١٧/٥/٢٠٠٦ الجزيرة نت .

(٥) الإسلام وحركات التحرير العربية د/ شوقي أبو خليل ٢٢٣ .

## ٨ . السودان :

كانت السودان ومصر مستعمرتان من قبل الإنجليز فكان السودانيون يعانون من ظلم الخديوي توفيق الذي سيطر عليه الإنجليز وأصبح العوبة في أيديهم . بالإضافة إلى ظلم الإنجليز أنفسهم . فقد أصبحت الأرواح مهددة . والحريات منقصة والأموال متزعة والبلاد مخربة . وتجارة الرقيق منتشرة والرشاوي متفشية وتطلع الناس إلى من ينقلمهم من هذا الظلم . فهياً الله لهم هذا القائد الكبير محمد بن أحمد المهدي الذي قاد الجهاد وحرر البلاد .

ولد هذا القائد في رجب ١٢٦٠هـ — الموافق ١٨٤٣م في جزيرة لبب قرب مدينة دنقلة من أسرة طيبة اشتهرت إنما حسينية النسب . تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره . مات أبوه وهو صغير . وذهب إلى الخرطوم فقرأ الفقه والتفسير وتصف (١) .

وقد ساعد على تصوفه . بيئة كثر فيها أبناء الطريق (٢) . وميل إلى العزلة والخلوة للعبادة والتأمل . فقد انقطع في جزيرة أبا حسة عشر عاماً للعبادة كما يقول الزركلي (٣) واتصاله بمشايخ الطريق . فقد كان متصلاً في الجزيرة بالشيخ الأمين الصويلح ثم مضى إلى خلوة الشيخ الأمير . وارتحل بعدها إلى الفقيه العالم الشيخ محمد خير في العبس تجاه الوبر فطاب له المقام والاعتكاف على الدرس والتحصيل وبهرته دون أترابه أنوار التصوف فأقبل عليها (٤) .

(١) انظر الأعلام للزركلي ج ٢٠/٦ والإسلام في القرن العشرين عباس محمود العقاد . ضمن موسوعة عباس محمود العقاد ج ١٠٥/٥ المكتبة المصرية صيدا لبنان ط ١٤٢٧/١هـ — ٢٠٠٦م والإسلام وحركات التحرير العربية د/ شوقي أبو خليل ١٢٠ .

(٢) الإسلام في القرن العشرين ج ١٠٥/٥ .

(٣) انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٢٠/٦ .

(٤) الإسلام وحركات التحرير ١٢٠

لروم الطريقة : تلمذ الشيخ محمد أحمد المهدي على الشيخ أحمد الطيب بن البشير السَّامِي الطريقة <sup>(١)</sup> والسَّامِي فرع من الشاذلية <sup>(٢)</sup> ولزم شيخ الطريقة السَّامِي حيناً من الدهر فعهد إليه شيخه نشر الطريقة في جزيرة أبا . فأقام فيها سجداً وخلوة للتعليم والإرشاد وورد إليه الناس من مختلف الأقطار كان يتولى تعليمهم وإرشادهم <sup>(٣)</sup> .

كما التحق بالشيخ محمد شريف نور الدائم وهو صابى أيضاً ومكث في حلقة هذا الشيخ يدرس مبادئ الصوفية وهي تعاليمها .. حتى منحه شيخه الأستاذية بعد دراسة امتدت إلى سبع سنوات <sup>(٤)</sup> وكثر بذلك أتباعه ومريدوه وصار وطنياً كما يقول الدكتور عبد الله عبد الرازق <sup>(٥)</sup> لدرجة أن شيخه محمد الشريف بدأ يحقد عليه ويحسده . وانقلب الحسد إلى عدااء سافر عندما أخذ محمد أحمد ينتقد تصرفات شيخه الذي أذن للنساء بالحضور إلى مجلسه وتقبل يده . وسمح بالرقص والطلل والغناء في احتفال كبير لختان أجهالة <sup>(٦)</sup> .

وبعد هذه القطيعة انتقل إلى شيخ آخر هو الشيخ القرهي ود الزين <sup>(٧)</sup> وقضى معه الفترة من عام ١٨٧٨م — حتى عام ١٨٨٠م . وهي من أخرج الفترات التاريخية في حياة السيد محمد أحمد لأنها كما تشهد روايات المؤرخين تمثل انتقال

(١) السابق ١٢٠ .

(٢) انظر نظرية المؤامرة أروم أم حقيقة ؟ موقف صادق المطار ٣٤٠

(٣) انظر الموسوعة الحركية الأستاذ فصي يكن ج ١/٢٠٩ ، ٢١٠ دار البشير للنشر والتوزيع عمان ط ١ سنة ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م .

(٤) انظر تاريخ السودان الحديث للأستاذ ضرار صالح ضرار ١٠٣ الدار السودانية للكتب الخرطوم ط ١٩٧٥/٣ .

(٥) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٨٦ .

(٦) انظر تاريخ السودان الحديث ضرار صالح ضرار ١٠٥ والطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٨٦ .

(٧) انظر تاريخ السودان الحديث ١٠٥ ، ١٠٦ والطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٨٦ ، ٨٧ والإسلام وسرقات التحرير العربية ١٢٠ .

الرجل من الصوفية إلى المهدي<sup>(١)</sup> كما سيأتي . ولما مات الشيخ القرشي ١٨٨٠م أوصى له بالخلافة فبايعه الأحباب ووفد الناس عليه لهو إمام الموقف . وقامس الناس بأنه المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً<sup>(٢)</sup> وانتقل الأمر من الخمس إلى الإعلان الرسمي إنه هو المهدي المنتظر<sup>(٣)</sup> .

ومهدي السودان ليس هو المهدي المنتظر الذي وردت الأحاديث بظهوره في نهاية الزمان<sup>(٤)</sup> . وأخذت دعوة الشيخ تأخذ طوراً جديداً ففي عام ١٨٨١م اجتمع في جزيرة أبا خنق كثير فقام المهدي بعد انتهاء الصلاة خطيباً في محبة " وكان فطنا فصيحاً قوي الحججة إذا غلب غلب<sup>(٥)</sup> وتكلم في واقع الناس وأطال في الأسباب التي كانت مقدمة لتلك النتائج والأمور التي أفضت إلى ثورة عرابي وما أعقب ذلك من أحداث جسام في مصر فارقت الأصوات بالبكاء والتعجب . وكبر الحاضرون وهللوا ثم طلب من أحبابه أن يقطعوه الخناق والعهد فبايعوه على الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وبه إماماً ومهدياً وعلى الزهد في الدنيا وتركها وعلى الجهاد في سبيل الله وغية فيما عند الله<sup>(٦)</sup> .

وتجمع للشيخ من دعوته وزياراته المختلفة في أنحاء السودان عدد كبير من الأطباء والمريدين — الدراويش — حتى زاد عندهم عن عشرين ألفاً<sup>(٧)</sup> هم أساس السودان ومنشوا دولته . وتحول الشيخ من مجرد صوفي يتشد الخلاص لنفسه إلى صوفي يتشد الخلاص للناس والجمتمع من برائن الحكم الأجنبي وظلمه .

(١) الإسلام وحركات التحرير العربية ١٢٠ .

(٢) الإسلام وحركات التحرير العربية ١٢٠ والموسوعة الحركية ج ١/٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٨٧ .

(٤) انظر المهدي المنتظر بين الخبيث والتفكير للباحث والمهدي المنتظر في روايات فعل السنة والشيعة الإمامية دراسة حديثة نقدية د/ عذاب الخمس ٩٥ وما بعدها دار الفصح للنشر والتوزيع عمان ط ١٩٢٣/٦ هـ - ٢٠٠٣م والأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته د/ عبد الوود شلي ط دار المعارف القاهرة عام ١٩٧٩م .

(٥) الأعلام للزركلي ج ٦/٢٠ .

(٦) الإسلام وحركات التحرير العربية ١٢٢ والأعلام للزركلي ج ٦/٢٠ هامش ١ والموسوعة الحركية فتحي بكى ج ١/٢١٠ ، ٢١١ .

(٧) انظر الإسلام في القرن العشرين ١٠٥ ، ١٠٦ والأعلام للزركلي ج ٦/٢٠ .

وبدأت مرحلة الجهاد وعزم الشيخ على مقاومة الإنجليز ومن معه من الدراويش . وأصدر فتواه المشهورة بإعلان الجهاد ضدهم وكان ذلك عام ١٨٨١م <sup>(١)</sup> واتبع ذلك بتعبئة الناس فحشد الحشود وجند الجنود . وأرسلت السلطات السودانية باعترين بمها فصيلتان من المشاة ومثلتهما من الفرسان للقضاء على المهدي وأتباعه من الدراويش . وما أن رست الباخرتان في ليلة الجمعة ١٦ رمضان عام ١٢٩١م حتى انقض عليهما أتباع المهدي وأنصاره وأبادوا من فيهما لا قليلاً وارتدت الباخرتان هرباً إلى الخرطوم لتبلغا الحاكم العام نيا الكارثة وتذيعا في الناس نيا انتصار المهدي وأنصاره العزل على الجنود المدججين بالسلاح <sup>(٢)</sup> ثم أمر المهدي أتباعه بالمجرة إلى جبل ماسة بالقرب من جبل قدير في جبال التوبة بکردفان . فحقق نصره الثاني في معركة راشد أيمن . أحد الأتراك الذين أرادوا القضاء على المهدي في كانون الأول من ديسمبر عام ١٨٨١م ثم سقطت الأبيض في ١٩ كانون الثاني " يناير " ١٨٨٢م فكان لهذه الهزائم صدى متوياً في لندن والقاهرة والخرطوم <sup>(٣)</sup> فزمت المجملعا على أن ترسل حملة كبيرة بقيادة الكولونيل وليم هكس Hicks وقبل أن يتلقى به المهدي كتب إليه يدعو وجنده إلى الدخول في طاعته والإيمان بدعوته . ولكنه أبى ذلك بصلف وغرور <sup>(٤)</sup> .

فلم يجد المهدي بداً من لقائه والتقى الجيشان في معركة شيكان . وبذكاء منه استطاع أن يستدرج هكس وقواته إلى الوادي . ثم انقض أتباع المهدي — الدراويش — على هكس وجيشه . فأبادوهم ولم ينج منهم إلا القليل وقتل هكس

(١) انظر الموسوعة الحركية فتحى يكن ج ١٤٩/٢ .

(٢) انظر الإسلام وحركات التحرير العربية ١٢٢ ، ١٢٣ والموسوعة الحركية فتحى يكن ج ١٥١/٢ ، ١٥٢ .

(٣) انظر لإسلام وحركات التحرير العربية ١٢٢ والطرق الصوفية في القاهرة الألفية ٩٦ — ١٠٠ .

(٤) كيف يدخل في طاعته ويؤمن بدعوت . وهو الإنجليزي والقاتل المشهور الذي قال " لو سقطت السماء لقعنا بالسفلى ولو ماتت الأرض لتيها بقوائم السيف وأرجل الخيل . هل وليت غروراً وصلفاً أكبر من هذا ؟

وكبار ضباطه <sup>(١)</sup> حتى قال أحد الباحثين " لم يتج من جيش هكس سوى ٣٠٠ رجل <sup>(٢)</sup> ولقد ردت خسائر المهدي بما لا يزيد عن ٥٠٠ قتيل <sup>(٣)</sup> وكان من آثار هزيمة شيكان أن قامت الحكومة البريطانية بإعلان عجز مصر عن إخماد الثورة المهديية . وبدأت تنتهج سياسات جديدة لإخلاء السودان وسحب الحاميات المصرية منها . ولتنفيذ سياسة الإخلاء كلفت بريطانيا الجنرال غوردون " نابع ثورة فائبيج في الصين " للقيام بهذه المهمة . وفي الحال بعث إلى المهدي بكتاب يهدي فيه استعداده للاعتراف به سلطاناً على كردفان . وكان رد المهدي عليه مهديية عبارة عن ثياب الدراويش والأنصار — حبة وسروال .. وحذاء وغطاء . ودعاه إلى الدخول في الإسلام . فحضر غوردون من رسائل المهدي وطلب منه إلا يكتب إليه مرة ثانية <sup>(٤)</sup> وعزم المهدي على مهاجمة الخرطوم والإسكلاء عليها وبعد حصار وقتال عنيف استطاع المهدي ومن معه من الدراويش أن يقتحموا أسوار المدينة وسقطت في يده عام ١٨٨٥م وعندما شاهد غوردون ذلك تسرع إلى سطح قصره بملابس نومه ورأى النوازل قد أغلقت وأنه سقط في أيدي أعدائه . وعندئذ تقدم أربع رجال إلى مكان غوردون في قصره . وكان أولهم طه شاذي الذي لفقه بحرية في جسده .. وأما الرجال الثلاثة فقد قتلوهما لحر جسده وقطعوه لرباً . وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى المهدي في أم درمان . وعلقت رأسه هناك على أحد فروع الأشجار ... وكان المهدي لا يرغب في قتل غوردون بل كان يود أسره حياً لينفذ به أحمد عرابي <sup>(٥)</sup>

(١) انظر الإسلام وحركات التحرير ١٢٣ .

(٢) الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ١٠٩ .

(٣) السابق ١٠١ .

(٤) انظر أعلام الإسلام . مهدي الله . الأستاذ توفيق أحمد البكري ٨٩ لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٤م والحركة المهديية بين التأثير والتأثر د/ صالح أحمد السلوت ٥٣ دار الأندلس طنطا ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م والإسلام وحركات التحرير ١٢٤ .

(٥) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ١٠٦ بالمختصر وتصرف والإسلام وحركات التحرير العربية ١٢٥ والأعلام للزركلي ج ٢٠/٦ .

وقد أكد السيرونسون نشرشل هذه الأحداث . فوافق بذلك الباحثين العرب المسلمين يقول " هجموا عليه — أي الدرايش — ولم يحاول حتى استعمال مسدسه — وأعمالوا عليه طعناً في أجزاء مختلفة في جسمه وقع على درجات السلم . هنالك أجهزوا عليه ففطموا الرأس وحملوها للمهدي وأعملوا في باقي اللجنة حتى لم يبق منه شيء إلا أكوام لحم ومخرق عزيمة مليحة بالدم <sup>(١)</sup>

وانتقل المهدي وحكومته إلى الخرطوم بعد أن خضعت السودان له . وبذلك حرر هذا المجاهد بلاده من رجز الكفار والمستعمرين <sup>(٢)</sup> يقول الأستاذ ضوار " ولم يحدث في كل عصور تاريخ السودان أن توحدت البلاد بأسرها تحت زعامة وطنية كما حدث في عهد المهدي . فهو الذي أعطى البلاد وحدة دينية ووطنية . وأزال الفوارق الطائفية الدينية . والتمرة القبلية وفي ذلك التاريخ برز السودان كقطر قوي أصبح قبلة المسلمين في جميع بلادهم .. وإن قل الإيمان بالمهدي في القرن العشرين كمهدي جاء لنصرة الدين . فإن مكانته القومية وزعامته الوطنية مازالت سامية في نفوس السودانيين جميعاً <sup>(٣)</sup> .

ويصاب المهدي بمرض شديد — هو التيفوس ظل يعاني منه فترة حتى لقي ربه وهو ابن اثنين وأربعين سنة عام ١٨٨٥م بعد أن عين النعاشي <sup>(٤)</sup> خليفة له . وهذا الخليفة كان صوفياً هو الآخر . على الطريقة السمانية . وقد تغيرت الأوضاع في عهده فتألت عليه قوى الشر من الداخل والخارج — الفورات

(١) انظر تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان — سيرونسون نشرشل ترجمة عز الدين محمود دار الشروق القاهرة ١٥ سنة ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٧م .

(٢) الموسوعة الحركية لصحي يكن ج ١٥٠/٧ .

(٣) انظر لتاريخ السودان الحديث ضوار صالح ضوار ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٤) النعاشي : هو عبد الله بن محمد النعاش . من قبيلة النعاشية . ولد في بادية المغرب الجنوبي من دافور عام ١٢٦٦هـ — ١٣١٧هـ — ١٨٥٠ — ١٨٩٩م اتصل بالمهدي فكان من أنصاره . وكان دويشاً مظه . سار على دربه في الجهاد . قتل هو وجماعة من أصحابه على يد كشتى القائد الإنجليزي في السودان . انظر ترجمته في الأعلام ج ١٣٣/٤ .



العشائرية والأجاش والبريطانيون والإيطاليون والبلجيكيون . وكانت بريطانيا أقوى هذه الدول . وأرادت أن تترك لقتلاها وأن تستعيد هيبتها ومكانتها في السودان فجهزت جيشاً كبيراً وأسندت قيادته إلى كنشتر . وكان مكوناً من ٢٥ ألف رجل ومشاة وعدد حرية حديثة .. واستطاع هذا الجيش أن تضرب المجاهدين السودانيين برصاص المدافع الرشاشة حتى حصلهم .

ولما رأى التعايشي وأصحابه أنهم قد خسروا للمركة انخرسوا فراء الصلاة وجلسوا هادئين ينتظرون الموت بحنان ثابت كما هي عادة الزعماء السودانيين عندما يخسرون المركة الفاصلة فلا يولون الأدهار . ولم يبق من أتباع التعايشي إلا الشيخ عثمان بن دقنة <sup>(١)</sup> الذي رفض الاستسلام والتوقف عن الجهاد فأخذه السلطات البريطانية وأودعته السجن وظل في سجن حلفا حتى توفي في ٨ كانون الأول ديسمبر ١٩٢٦م <sup>(٢)</sup>

ومن أعمال كنشتر البربرية وضعه الأعلام في ضريح المهدي . فلهذه القبة ولم يبق من الضريح سوى حيطانه القائمة . ثم أمر ببش القبر واستخراج الجثة وقطع رأسها ثم أرسلها إلى المتحف بلندن ، بعد أن تعثر العظام . ولم تعرف البلاد مثل هذه البربرية إلا في عهد كنشتر عند استيلائه على السودان إذ يرجع بالعالم إلى عهود تعرفه في البدائية <sup>(٣)</sup>

(١) عثمان دقنة : هو عثمان بن دقنة بن أبي بكر من أمراء الدراويش في السودان ولد عام ١٨٣٧م نشأ وتعلم في سواكن وتعاطى التجارة والسفوف . ولما قامت ثورة المهدي رحل إليه وبعده فزلاه السودان الشرقي ولما مات المهدي والى عليته التعايشي وانضم إليه وقاوم الجيوش المصرية والبريطانية فظهر وأمر الكثير واستمر في دفاعه وجهاده = (٢) حتى خاضه أحد أقربائه فأسلمه إلى أعدائه ١٩٠٠م فحمل أسيراً إلى دمايط ثم إلى وادي حلفا حيث مات في مجده عام ١٩٢٦م انظر الإعلام ج ٢٠٥/٤ .

(٢) انظر تاريخ السودان الحديث حراره صالح طرار ١٣٦ - ١٤٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ والإسلام وحركات التحرير المصرية ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) انظر الإسلام وحركات التحرير المصرية ١٢٧ .

والخلاصة أن الشيخ محمد أحمد المهدي فجر أكبر ثورة إسلامية في القرن الثالث عشر - التاسع عشر الميلادي . وأنشأ حركة مقاومة إسلامية أرعبت الدول الاستعمارية . واستطاع هذا الزعيم الصوفي استقلال الطرق الصوفية وقبائل السودان المختلفة لتقف صفاً واحداً هو القضاء على الاستعمار وأعوانه . وأقام مجتمعاً متكاملاً اتخذ من الشريعة الإسلامية منهجاً له في الحياة حتى تولى - وولي بعده التعايشي - الذي أرسى الدولة المهدية على أسس ثابتة حتى أواخر القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup> .

وبعد فإن هذه النماذج المنتخبة من نماذج كثيرة لو ذكرناها لطال بنا المقام وخرج البحث عن إطاره - تربتاً أمراً حقيقياً واقعاً - لا وهماً غيالياً إن التصوف ليس محمولاً ولا إنزاماً كما ادعى البعض - كما أنه ليس توكلاً وهواناً كما يراه البعض الآخر إن التصوف قوة وبأس . وجهاد ونضال . ونفس ملهمة عاملة - إنه تصعد بالحياة إلى أعلى ارتفاع بالقيم الإنسانية إلى ما هو أرفع وأسمى<sup>(٢)</sup> .

والتصوفية التي قدمناها في هذه النماذج هي صوفية تطبيقية أخرجت التصوف من إطاره النظري إلى إطاره العملي . وطبقت آيات وأحاديث الجهاد تطبيقاً عملياً تمثل في مقاومتها للمستعمر والغازي . الذي احتل أرضها واستولى على عيوانها واستعبد أبناءها وجعلهم إذلاء خاضعين .

وقد استطاعت الطرق الصوفية بما لها من مكانة وموثة في قلوب الكثر من الناس أن تجند الجنود وتحشد الجيوش فقاموا بغورات في مختلف البلاد من القارة الأفريقية .

وسجلوا بأحرف من نور بطولات وتضحيات لا ينساها التاريخ على مر العصور والدمور وعلى الذين ينكرون هذا الدور البطولي أن يراجعوا كتب التراث

(١) الطرق الصوفية في القارة الإفريقية ١١٠ ، ١١١ باعتبار وتصرف .

(٢) انظر الإخبار الدفاعي عند الصوفية الأستاذ أسعد الخطيب ١٠١ .

ويقرأوها ياتصاف وتجرد ويشهدوا بالحق والحقيقة فإن الله سائلهم عنها وقد قال الله تعالى " وإذا قلتم فاعدلوا " (١) وقال " ولا يجز منكم شتان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى " (٢) .

كما أن هذه النماذج فضحت الدول الأوربية وكشفت عن أطماعها التي لا تنتهي واستغلالها الذي لا يقف عند حد — إن الاستعمار هو الوجه الحقيقي لهذه الدول مهما حاولت تجميله بصور شكلية وتزينه بأمور وهمية لإخفاء حقيقة أن التاريخ لا ينسى ما فعلوه بالإسلام والمسلمين في العصر الحديث .

ولكن هل كانت الطرق الصوفية كلها على هذا النحو من الجهاد والمقاومة ؟ ونأسف أن نقول لا . لم تكن الطرق الصوفية كلها على هذا النهج من الجهاد والمقاومة للمستعمر — فهناك من عاون المستعمر وسأده ومار في ركابه — بل وصاحره . ومواء أكانت هذه الفرق كثيرة أم قليلة فإنها تسجل إغترافاً في السيرة وميلاً في المسيرة وهذا ما نحاول إبرازه في البحث القادم إن شاء الله — .

(١) الأنعام آية ١٥٢ .

(٢) طه آية ٨ .

### " الطرق الصوفية المعاونة "

من الأمور البديهية أن من لم يجاهد ويقاوم المستعمر من الطرفين فلا بد أن يعاونه ويساعدهم لأن القضية لا تتحمل إلا أمرين — إما المجاهدة وإما المعاونة — فمن كان مجاهدا لا يكون معاونا ، ومن كان معاونا لا يكون مجاهدا .  
والمعاونة ليست مقصورة على تعطيل شرعية الجهاد فقط . بل السكوت عن المستعمر وعدم الاعتراض عليه والرضا بأفعاله وهذا لا يقل في نظري عن المعاونة المباشرة .

وثبتت المعاونة بمعنى تحول المسار وتغييره عند بعض الطرقية وهو أمر في غاية الخطورة بحجج ظنوا أنها شرعية — جهلاً بأحكام الشرع والذين وطعوا في الواجهة والمكانة والمال . حتى وصل الأمر إلى العمالة والتجسس كما سيأتي :  
والدور الاستعماري تنوس نفسه الشعوب قبل استعمارها وتقوم بعملية مسح شبه كاملة للبلاد التي يراد استعمارها والتركيز على من يؤثر في الناس ويتأثرون به . وخاصة الطرقية — من حيث عدد أتباعهم . وأصنافهم الاجتماعية وعدد زواياهم ووظائف هذه الزوايا — ومهامها — وخاصة وزعماء الاقتصاد والاجتماعي وميولاتها . وانتماءاتها السياسية <sup>(١)</sup> وهذا ما فعلوه بالقارة الأفريقية يقول أحد المختصين بشئون الطرق في شمال أفريقيا " بول اديبو " إن شيوخ الطرق يحملون إلى المال والتنفوذ — وهم يعرفون أنهم إن قاوموا الدول الحامية فإنهم لن يحصلوا على شيء أي منهما <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية التليبي المجلد ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١  
(٢) انظر تاريخ المغرب في القرن العشرين روم لانتو ١٤٠ ترجمة نقولا زيادة ومراجعة د/ أنيس فريجة  
نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فريكلين للطباعة ونشر بيروت نيويورك  
١٩٦٣ م .

ويقول جوليان مشياً على الحكومة الفرنسية " لقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تجمع المتصوفة الذين مولتهم وجنتهم " <sup>(١)</sup> وكان الفرنسيون من أوائل الدول الاستعمارية التي اهتمت بالطرق الصوفية — لأغراضها ومن أول المحاسنين حول موقعها في المجتمع <sup>(٢)</sup>

وهذه هي السياسة التي تبناها أمريكا اليوم فقد رأت أن الفضل وسيلة مغاربة الصحوة الإسلامية — ومقارمة الإسلام الأصولي كما تزعم — هو التصوف والطرق الصوفية <sup>(٣)</sup> .

والمستعمر حريص على مصلحته أينما كانت ويستعمل كل الحيل في الوصول إليها . وقد رأى أن الطرق الصوفية خير وسيلة تحقق له ذلك . وبدأ يضرب على وتيرة التسليم والرحا والإيجاب بالقضاء والقدر التي يعتقدها الطرقيون ويدينون بها . وأدرك ضرورة توظيف هذه الأفكار في مشروعه الاستيطاني كما هو الحال مع أعضاء جمعية العلماء المسلمين حتى أطلقوا عليهم استهجاناً " الباديسين " <sup>(٤)</sup>

لقد مدت الإدارة الاستعمارية كل العون والتقدير للطرفين وهدت على أيديهم فكانت تشاركهم في تحقيق الأمن والسلامة لزوار مرهدي الأضرحة سنوياً . وكان المستقلون بالقطارات إلى هذه المزارات لا يدفعوه إلا نصف التسعيرة دعماً من المستعمر .

(١) السابق ١٤٣ وانظر كذلك التهجنة د/ علي آل دحيل الله ٩٠ دار العاصمة — السعودية ط ١٤١٩/٢ هـ — ١٩٩٨ م .

(٢) انظر الإسلام الطرقي د/ لطيفة الأخضر ٣٨ .

(٣) انظر مفير أمريكا يطبق توصيات سيريل بنارد الأستاذ أحمد عز العرب جريدة الولد مقال على شبكة الإنترنت .

http . w . w . w . httpill . w . w . w . also wfla org . . ٢٨ ومتدنيات الصوفية ٢٨ .  
olnofd org

(٤) الباديسين . نسبة إلى باعث النهضة الحديثة في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله .

يقول المؤرخ الفرنسي إميل دارمنجم ت ١٩٤٥ Emile Dermong  
 hom إن ضريح الولي سيدي عابد <sup>(١)</sup> كان يزوره سنوياً من ٨٠ - ١٠٠ ألف  
 زائر من الجزائر العاصمة ووهران ومناطق أخرى . ويتم الاحتفال تحت حراسة  
 الدرك والأمن الفرنسيين المجتدين خصيصاً لهذه الوعادات <sup>(٢)</sup>

وفرنسا لا تفعل ذلك حياً في الجزائريين والطرفين وإنما تفعل ذلك لأنه في  
 مصلحتها إذ أن شيوع الفكر الطرقي القائم على التسليم والمسالمة من شأنه أن  
 يثبت أوتادها ويقوى أركانها . فالاستعمار كما يرى أصحاب الطرق الصوفية قهر  
 الله ومن عند الله - وإذا كان من عند الله لمقاومته حرام <sup>(٣)</sup> ومن ثم عطلت  
 نصوص الجهاد التي تأمر بقتال المستعمر ومقاومته .

وما ينبغي تسجيله هنا أننا نجد الطريقة الواحدة في ذاتها لها دور المقاومة في  
 مكان ودور المعاونة في مكان آخر . وما ذلك إلا بتأثير رجال الطريقة القالمين  
 عليها في المكان ذاته . فمثلاً الطريقة النيجانية اتخذت طريق المعاونة مع المستعمر  
 الفرنسي في الجزائر وغيرها .

بينما اتخذت دور المقاومة مع نفس المستعمر في السودان الغربي "السنغال" وما  
 حولها بقيادة الشيخ الأزهري عمر قوتي <sup>(٤)</sup> وعد ذلك صاحب حاضر العالم ذلك

(١) تأمل مدى اعتماد الفرنسيين لهذه الأضرحة وحراستها بقواتها الخاصة . هل تفعل ذلك حياً في  
 الجزائريين وأصحاب الأضرحة أم لمصلحتها .

(٢) أنظر قصة الصراع بين الدين الخرافي والإسلام التي مقال على شبكة الإنترنت منتديات المهدي :

Http://www.alnabdy.net

(٣) انظر الصوفية الوجه الآخر د/ محمد جميل غازي ١٠٧ إعداد عبد النعم الجندوي د/ت .

(٤) هو عمر بن سعيد بن عثمان التوفي السنغالي الأزهري النيجاني ولد سنة ١٧٩٧م في قرية القار من  
 بلاد ديمار - حفظ القرآن على يد والده - وتعلم على يد بعض مشايخ الأزهر كالشيخ محمد  
 العروسي والشيخ حسن المطار وله مؤلفات أهمها رماح حرب الرحمن على نحو حزب الرحيم -  
 وسيف السعيد . وسنة السعادة توفي عام ١٨٦٤م أنظر ترجمته في النيجانية د/ علي بن محمد فضل

الله ٧٤ .

من الغرائب فقال " ومن الغريب أننا في الجزائر نصبح بالحوالة للفرنسيين ولي السودان ترفع راية الجهاد " (١)

كما أن البلد الواحد يوجد فيه التياران — تيار المقاومة — وتيار المعاونة — فمعظم البلاد التي ذكرناها في المقاومة — هي التي سنذكرها في المعاونة — ومعنى ذلك أن جمهور الناس في هذه البلاد يتأثرون بالطريقة قوة وضعفاً وإيجاباً وسلباً — كما يعطي ذلك مؤشراً على مدى اعتقادهم وثقتهم وتحسكهم بها في الحالتين . والمقصود بذلك أننا لا نعمم الحكم فلا نطلقه على جميع الطرقة في العصر الحديث . فالتعميم لا يصح في الأحكام ولا يصلح في الأبحاث . ولذلك سنذكر الطريقة في كل بلد على حدة مستقلة بذاتها لإبراز موقفها إيجاباً للحق وإظهاراً للحقيقة .

#### ١. في مصر :

الطريقة النهمية الخلوتية في مصر تنسب إلى الشيخ محمد النهمي التفازاني ت ١٨٩٣ — ١٩٣٦ م (٢) وهذه الطريقة لها صلة بريطانية منذ تأسيسها يقول أحد الباحثين " إن هذه الطريقة أسستها بريطانيا من أجل محمد النهمي التفازاني — والذي يعد من أكبر أعيان بريطانيا . لذا أعمت عليه وأصبح شيعاً هذه الطريقة ومدافعاً ومحامياً لمصالح بريطانيا (٣)

وشيوخ الطريقة البكرية ونقيب الأشراف السيد خليل البكري (٤) ت ١٩٢٣ هـ — كان من المتعاونين مع الفرنسيين أثناء احتلالهم لمصر سنة ١٧٩٨ م

(١) حاضر العالم الإسلامي ج ٢/٤٦ والبيرونية ٧٠ .

(٢) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج ٣٢٥/٦ والصوفي الحمد الشيخ محمد النهمي التفازاني مقال على شبكة الإنترنت منتديات العرب [http . w . w . w algharib net](http://www.algharib.net)

(٣) انظر السيد البدوي محمود أبو رية ١٩٦ ، ١٩٧ مطبعة الإمام — مصر — والطرق الصوفية د/عبد الله السهلي ١٧٠ دلو كنوز أنبياء الرضا ط ١ سنة ١٤١٦ هـ — ٢٠٠٥ م

(٤) انظر الطرق الصوفية د/ عبد الله السهلي ١٧٠

وكذلك مع البريطانيين . يقول فريد دي يونج عن خليل البكري هذا " فقام الفرنسيون بتعيين خليل في هذا المنصب " شيخ السجادة البكرية " الذي كان يشغله من قبل أعضاء من الأسرة البكرية . بل وعينه الفرنسيون عضواً في ديوان القاهرة — الذي أنشأه الفرنسيون — فتعاون بإخلاص مع الغزاة طوال فترة الاحتلال الفرنسي <sup>(١)</sup> تأمل قوله متعاون معهم بإخلاص يعني أصبح موالياً في كل شيء طوال فترة احتلالهم .

وينتهي الاحتلال الفرنسي ليحل محله الاحتلال البريطاني ويحرض الإنجليز على إقامة علاقة مع عائلة البكري فيأخذون — محمد توفيق البكري إلى بريطانيا ليربي على أعينهم وينشأ على مبادئهم ليعود مستكماً أداة الرعاية الإنجليزية . وكان هو والحدادي عباس قد تعلموا في معهد واحد في بريطانيا . وبعده أخذوا مراد البكري به عبد الحميد البكري وطبعوه على غرارهم وزوجوه من بناتهم ثم أعادوه ليتولى مشيخة الطرق الصوفية بمصر وظل بها إلى سنة ١٩٤٧ م <sup>(٢)</sup> .

ويذكر يونج أن الشيخ محمد توفيق البكري نقيب الأشراف أيضاً كان متواطئاً مع اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر — وهو أحد الشخصيات المتمتعة بحماية كرومر <sup>(٣)</sup> .

وتتحسن العلاقة بين الشيخ البكري وخطيوي مصر عباس حلمي . ويطالب الأمل بقيام حكومة برلمانية ويوجه خطاباً مفتوحاً لأمير ويلز " جورج الخامس " وقد أثار ذلك الخطاب كثيراً من الفلاقل والفجاج والإثارة — وأصبح مكروهاً من الإنجليز وخاصة بعد أن ساهم أيضاً في الأنشطة الرامية إلى تدعيم حركة الجامعة الإسلامية الشاملة " .

(١) انظر تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر فريد دي يونج ٩ ترجمة عبد الحميد

همي الجمال ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٥٠ م .

(٢) انظر السيد البدوي محمود أبو ربة ١٩٦١ ، ١٩٧٠ .

(٣) الطرق الصوفية في مصر فريد دي يونج ١٨١ .



## ١) Pan es lamia mave ment

وجما ينبغي ملاحظته وتسجيله هنا تبين موقف الشيخ محمد توفيق البكري . فهو في البحث السابق من المقاومين . وفي هذا البحث من المعاونين فكيف ذلك ؟ حاول البعض أن يعالج هذا التباين ففسره بنار السياسة التي تحرق من يلترب منها . وقد كان بين الشيخ البكري وخديوي مصر إحسن وعمن . وأراد الخديوي أن يتخلص من البكري فرماه بالجنون . كما هو شأن السياسة فيمن يعارضهم . وتقل الشيخ البكري على أثر ذلك إلى مصحة نفسية في بيروت عام ١٢٣٠هـ — وبقي ١٦ عاماً . ثم عاد إلى القاهرة وتولى بعد عامين بعد لصح الأدياء فيها وتظاهر الناس <sup>(١)</sup> وهذا التفسير وإن أشار إلى حقيقة مهمة وهي مرض البكري النفسي إلا أنه غير معقول لأن الفقرة المذكورة كانت في آخريات حياته بدليل أنه عاد إلى القاهرة وعاش عامين ثم مات وحدينا عن الفقرة المقدمة من حياته والتي هي محل المقاومة أو المعاونة .

ورجما كان التفسير المعقول لمواقف الرجل المتباينة — أن الرجل كان يقاوم الإنجليز وهذا أمر طبيعي كشأن أي مسلم استيحت دياره واحتلت بلاده من قبل الإنجليز أو غيرهم . فإذا أضيف إلى ذلك مطالبة البكري بالاستقلال ودعوته إلى قيام حكومة برلمانية <sup>(٢)</sup> وتحسكه بموضوع الجامعة الإسلامية فكرياً وعملياً <sup>(٣)</sup> علمنا سر المقاومة .

ثم تحدث خلافاً وتوتر للعلاقات بينه وبين الخديوي بسبب طلب البكري تخصيص مبلغ من ميزانية الدولة سنوياً لصالح الأزهر كمساهمة في رواتب المدرسين

(١) الطرق الصوفية في مصر فريد دي بولج ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) الأعلام للزركلي ج ٦٥/٦ ، ٦٦ والإسلام وحركات التحرير العربية ٣٨ ومشاهير ومجاهد .

أو لأن an lue co len

(٣) الطرق الصوفية في مصر ١٨٢ .

(٤) الإسلام وحركات التحرير العربية ٣٧ .

بالأزهر<sup>(١)</sup> ومعارضة للخديوي في اتصاله بالباب العالي. لأن هذا في نظره يناهض القومية المصرية التي يتناها ويرعاها<sup>(٢)</sup> وطنه في الذات الملكية أكثر من مرة<sup>(٣)</sup> وهنا تدخل اللورد كرومر ويدافع عن الشيخ البكري كشخصية دينية لها مكاتبها. وله آثاره الشخصية من وراء هذا الدفاع. فيتعاون معه البكري — وهنا تحدث المعاونة — فكان المعاونة كانت رد فعل نكابة في الخديوي — يقول فريد دي يونج " وربما كان تدخل كرومر لحماية شخصيته دينية كبيرة مثل البكري ناجماً عن أن البكري كان ينشر المشاعر المناهضة للخديوي وكان هذا الإجراء يدعم مركزه في صراع السلطة بينه وبين الخديوي.

وبالنسبة لمحمد توفيق البكري نجد أن تدخل كرومر لصالحه كان بضعه في موقف غير مربح على أساس أنه إحدى الشخصيات المتمتعة بحماية كرومر وهو أمر غير مرغوب فيه في ضوء الروح الوطنية القومية التي يتمسك بها<sup>(٤)</sup>. ثم تحسن العلاقة بينه وبين الخديوي — رفيق دراسته وصديق عمره فيشاوكة في سياسته الرامية إلى تحقيق الحرية من السيادة البريطانية — وبكافة الخديوي على ذلك فحينه نكباً للأشراف خلفاً للشيخ على البلاوي الذي انتقل إلى مشيخة الأزهر عام ١٩٠٣ م. وهكذا كانت السياسة هي الدافع الأول والحرك الأساسي للمقاومة والمعاونة عند الشيخ البكري وفي النهاية محسوب على الطريقة الصوفية باعتباره شيخاً المشايخ الطرق الصوفية ونقيباً للسادة الأشراف<sup>(٥)</sup> وفي سنة ١٩١٩ م قام بعض شيوخ الطرق الصوفية في مصر منهم شيخ الطريقة السنانية بجميع توقيعات تطالب ببقاء الإنجليز<sup>(٦)</sup>

(١) الطرق الصوفية في مصر ١٨.

(٢) السابق ١٨١.

(٣) السابق ١٨١.

(٤) السابق ١٨١.

(٥) الإسلام وحركات التحرير العربية ٣٦.

(٦) انظر أصول التصوف عبد الله وزوي ٨٨، ٨٩ مكتبة الزهراء القاهرة ط ١٤١٨ هـ والطرق الصوفية في مصر بين الساسة والسياسة د: زكريا بيومي ٣١ دار الهجرة القاهرة ط ١٤١٢ هـ.

ويجب أن لا ننسى الصلة الوثيقة والعلاقة الحميمة التي كانت بين الجزائر  
ماكفرسون وهو من أصحاب المناصب الحكومية الرفيعة في فترة الاحتلال البريطاني  
بمصر وبين رجال الطرق الصوفية وأهمهم الشيخ أحمد مراد البكري شيخ مشايخ  
الطرق الصوفية . وقد أهناه ماكفرسون دراسته عن الموالد في عام ١٩٤١م<sup>(١)</sup>

### ٣- ففي تونس:

استغل الاستعمار في تونس الطرق الصوفية استغلالاً سيئاً لصالحه وكانت  
سياسته التي اعتمد عليها هي سياسة الاستعباد والاحتواء والإغراء تارة بالمال  
وتارة بالمنصب وتارة بالنساء عن طريق المصاهرة وتارة أخرى بالاعفاءات من  
الجبايات والتسهيلات في المهمات .

لوفي سنة ١٩٠٣م توجه سيدي قدور أحمد مشايخ الطرق القادرية إلى الوزير  
الفرنسي "روا" بطلب في إعفاء أحفاده الاثنين محمد وأحمد المزوني من الجبي . وما  
كان من روا إلا أن لمي طلبه . وفي إبريل ١٨٩٨م طلب نفس الشيخ أن يعفى  
الحطاب والكبن والعشب الموجه إلى زاويته من الجباية . وكان له ذلك إضافة إلى أنه  
أعفى ابتداء من سنة ١٩٠٩م من ضريبة السخرية . وأكثر من كل هذا . لم يغفل  
عليه روا بالأموال فوجه له حوالتين . الأولى مقدارها ٨٠٠ فرنك والثانية ٥٠٠  
فرنك كمعانة لزاويته<sup>(٢)</sup> .

أما الزاوية التيجانية بمعاسين فقد خصها روا بمقدار ٣٠٠ فرنك كتعويض عن  
ضريبة القانون التي تدفعها الزاوية مستوياً عن تحيلها بمنطقة الجريد التونسي . وهذا  
النوع من الاعفاء الجبائي له كل مبرراته . إضافة إلى القانون الصادر بتاريخ ٢٤  
جانفي ١٨٩٣م . ٢٠ جويلية ١٨٩٦م والذي يعفى شيوخ الطرق من الخدمة

(١) انظر مقال الأستاذ جمال بدوي - مصر القديمة - الموالد من القرعونية إلى المسيحية والإسلام -  
جريدة الأخبار - الأربعاء ٢٠٠٧/٤/٤ ع ١٧١٤٦ لسنة ٥٥ .

(٢) انظر الإسلام الطريفي د/ لطيفة الأحضر ٩٤ .

المسكوبة<sup>(١)</sup> فهل يستطيع الطرفي بعد هذه الأموال والإعفاء من الخدمة العسكرية أن يجاهد الفرنسيين ويقاومهم ؟ كيف وقد أعفى من الخدمة العسكرية ؟  
 وبلغ من سياسة الفرنسيين لاحتواء الطرق الصوفية . أن راعت على المسعاة عائشة أخت الشيخ محمد ظافر المدني - مؤسس الطريقة المدنية .. وصاحب الخطوة لدي السلطان العثماني عبد الحميد وأم شيخ زاوية المدينة بمدينة صفاقس بأن منحها ٩٥ ألف فرنك بعنوان " جبراً للأضرار التي لحقت مزلها أثناء قصف القوات الفرنسية للمدينة سنة ١٨٨١ م<sup>(٢)</sup>  
 كل ذلك تبعاً للاعتبارات السياسية التي قدرت كسب العائلة لما لأختها عائشة من علاقة مع السلطات العثمانية . وما قد تقوم به من تسهيل استقرار فرنسا بفرنس .. خاصة وإن عائشة المذكورة كانت قد وعدت بعد تسليمها ذلك المبلغ . بتسخير كل جنودها ونفوذ عائلتها في خدمة فرنسا . على حد قول المصادر الفرنسية<sup>(٣)</sup> .  
 كما أعفت السلطات الفرنسية الشيخ محمد بن عبد الله ابن عائشة المذكورة وشيخ زاوية المدينة بصفاقس من الضريبة الخربية التي فرضت على المدينة . وهو مبلغ قدر بـ ٨٠٠٠ فرنك . مما يجعل تلك العائلة قد نالت إجمالاً مبلغ ٢٣٠٠٠ فرنك<sup>(٤)</sup>  
 وإذا كان هذا عطاء فرنسا لأسرة صوفية واحدة لطريقة صوفية واحدة فما بالك ببقية الطرق الأخرى ؟ يقول الدكتور التليبي المجلي في معاونة هذه الطريقة المدنية " لولا مهادنتها وسليعتها لما نالت تلك الإنعامات والامتيازات<sup>(٥)</sup>

(١) السابق نفس الصفحة .

(٢) الإسلام الطرقي د/ لطيفة الأمطر ٩٤

(٣) الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد الفرنسية د/ الطليبي المجلي ١٢٧ ، ١٢٨

(٤) السابق ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٥) السابق ١٣٨ .

وقد بلغ من قوة المستعمر في احتوائه للطرق الصوفية وسيطرته عليها إن قام بتعيين مشايخ الطرق الصوفية في بعض الوظائف التي تخضع لمصالحه من ذلك مثلاً .

أن عمران بن عبد السلام الفيتوري — مقدم الطريقة السلامية <sup>(١)</sup> قد وظفته سلطة الاستعمار في إعادة العربان الفارين إلى طرابلس الغرب على إثر دخول الاستعمار الفرنسي للبلاد حيث أرجع كثرتهم في عشرة أيام ففي يوم واحد ركب ١٥٠٠ نفساً على حد قوله <sup>(٢)</sup>

أما الشيخ الأزهاري بن مصطفى بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانية فقد وقع تكليفه بالاتصال بالشيخ الحفراوي للعمل على الفكك بقاءا للمركب الفرنسي الذي غرق بمقربة من طريق من سكان جبل حلو <sup>(٣)</sup> ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى كلفه الكاتب العام للحكومة الفرنسية بمدة الدولة بما تحتاجه من الخيل . وحث الأهالي على الانخراط في الجندية فقام بذلك على أكمل وجه . وتقديراً لخدماته وقع تقليده . وسام الشرف الفرنسي . ونشان الانتصار <sup>(٤)</sup> كما أن سعيد بن عمار الشامي من الطريقة الشامية <sup>(٥)</sup> كثيراً ما وقع تكليفه بإعادة العمامة كلما خرجوا عن الطاعة حتى حصل بذلك الأمن والاستقرار . كما لعب مقدم التيجانية سعد بن الحاج ناصر دوراً هاماً أثناء حوادث الجنوب فيما بين ١٩١٥ م ، ١٩١٦ م حيث اجتمع أكثر من مرة بأتباع الطريقة وحثهم على الوقوف إلى جانب فرنسا — كما قرأ عليهم عدة تعليمات في هذا المعنى واصله إليهم من شيخ الطريقة الأم بالجواز <sup>(٦)</sup> .

(١) فرع من الطريقة الشاذلية وتنسب إلى مؤسسها المذكور . انظر الطرق الصوفية د/ التليبي ٤٦ .

(٢) السابق ٩٦ .

(٣) السابق ٩٧ .

(٤) السابق ٩٧ .

(٥) أحد فروع الطريقة الشاذلية .

(٦) الطرق الصوفية د/ التليبي المعجلى ٩٧ .

إن هذه النماذج ترمزنا كيف تمكنت السلطة الاستعمارية بتوظيفها لبعض مشايخ الطرق الصوفية من تحقيق عدة أهداف بأقل تكليف وفي مدة وجيزة كما وفرت لها الأمن والاستقرار في أشد الفترات حرجاً<sup>(١)</sup> كما ضمنت بذلك ولاء هؤلاء الطرفين ووقوفهم في صفهم . وإن قابل ذلك فقدان بعض المشايخ هيتهم وتفردهم بين الإباح<sup>(٢)</sup> .

وقد كان لسلطة الاحتلال تدخلاً أقوى من المذكور وهو تدخلها في تسمية مشايخ الطرق الصوفية وتعيين الأكثر ولائاً للفرنسيين واستبعاد من له نشاط معاد لفرنسا . عن طريق المراقب المدني في تونس<sup>(٣)</sup> . ولا عجب بعد ذلك أن ترى مشايخ الطرق الصوفية يقدمون فروض الطاعة والولاء لأسيادهم الفرنسيين . وتزداد سياسة المستعمر في تونس لاحتواء مشايخ الطرق الصوفية ولكن هذه المرة عن طريق الزواج والمصاهرة . حتى لا تكون هناك أي مقاومة لهم " فقد تزوج شيخ زاوية عين مهدي بالأنسة أوريلي ييكار التي تعرف عليها بمدينة " بورردز " أما مولاي عبد السلام شيخ الطريقة الطيبة فقد تزوج بمعلمة إنجليزية . وفي هذه الأيام الأخوة طلب سيدي حزة شيخ أولاد سيدي الشيخ يد الأنسة " فوري " ابنه المسرور على مراقبة الخطوط الحديدية ... ولا تقف هذه الصداقة عند هذا الحد فقد اشتهر روا الممثل القنصلي الفرنسي الكاف بصداقته المثينة مع سيد محمد الميزوني شيخ القادرية بالكاف مع ابنه بالجنبي سيدي قدور . وقد كان روا يتردد على بيته . وقد كان سيدي قدور لا ينقطع عن البناء على سيدي روا طالباً من الله أن يحفظه لفرنس<sup>(٤)</sup> .

(١) السابق ٩٨ .

(٢) السابق ٩٨ ، ٩٩ باختصار وصرف .

(٣) انظر الإسلام الطرقي د/ لطيفة الأعصر ٩٣ .

(٤) المرجع السابق .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا — كيف يقاتل الطرقي الفرنسيون بعد صاهرهم وصار أجداد أبنائه وأخواله وخالاته منهم ؟  
 إن الذي حدث هو العكس فبدل أن يقاتلهم الطرقيون قاتل الطرقيون معهم في حربهم ضد ألمانيا . فصاروا بذلك في ركبنا الفرنسيين داخليا وخارجيا " فقد دعا بعض شيوخ الزوايا أهالي تونس للانخراط في الجندية للمساهمة في الحرب إلى جانب فرنسا — ضد ألمانيا — مثل الأرهاري بن مصطفى بن عزوز شيخ الزاوية الرحانية بنقطة وشيخ الزاوية التيجانية بو عراوة المتولي التيجاني الذي شجع ابنه الشريف التيجاني على الانخراط بنفسه في عسكر زواوي الصف الرابع للمساهمة في الجبهة الفرنسية <sup>(١)</sup> .

ويستحيل على شخص قاتل معهم وانخرط في صفوفهم أن يقاتلهم . ومن يقرأ النص التالي يعلم مدى التبعة والولاء من الطرق الصوفية — لفرنسا — وهذا النص يكاد يكون موحداً لرسائل الولاء — يعني أنه سمة عامة وليس تصرفاً فردياً أو شخصياً . يقول النص الموجه إلى المقيم العام الفرنسي بتونس " لقد حزنا وكتبنا عندما علمنا بأن زعماء الحكومة العثمانية قد التحقوا بألمانيا الموحشة في هذه الحرب . وبمادة المناسبة نجد اعتبارات ولائنا لملكنا المحبوب وإلى الأمة الحامية لنا " الإيمضاء " محمد بن شعبان شيخ القادرية الأكبر . محمد البشير شيخ الرحانية الأكبر . أحمد الشريف . شيخ العيسوية الأكبر <sup>(٢)</sup>

أما الإعفاءات والتسهيلات التي منحتها المستعمر الفرنسي لأرباب الطرق الصوفية فكثيرة كالإعفاء من الخدمة العسكرية . وبعض الإدارات الدولية . ومن بعض المحاكمات . وكذلك التسهيلات والإميازات أيضاً كالبيع المادية والقروض المالية والحوالات العينية <sup>(٣)</sup> .

(١) الإسلام الطرقي ٨١/٨٢ والطرق الصوفية د/ الطليعي المجلي ٩٧ .

(٢) الإسلام الطرقي د/ لطيفة الأغصير ٨١ .

(٣) انظر الطرق الصوفية د/ الطليعي المجلي ٩٣ ، ٩٤ .

وهذه النماذج الأخرى نجعلنا نقول : إن المقاومة كانت ضعيفة إن لم تكن معدومة . وأن الإطار العام والخط الدفاعي عند أرباب الطرق الصوفية يكاد يكون معلوماً . ولذلك دخل الفرنسيون تونس بلا مقاومة تذكر .

ومن القصص المشهورة التي نشرها الذين يشتعن على الطرق الصوفية وسيلتهم المقيمة في قضية الجهاد ما ذكره مصطفى كامل في كتابه المسألة الشرقية عن سقوط القيروان " في تونس " أن رجلاً فرنسياً دخل الإسلام وسمي نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعين إماماً لمسجد كبير بالقيروان ...

فلما اقرب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها . وجاءوا يسألونه أن يستشير الضريح الذي في المسجد . ودخل سيد أحمد الضريح . ثم خرج يقول .. إن الشيخ يتصالحكم بالتسليم ، لأن وقوع البلاد صار محتملاً .. فاتبع القوم كلمته ودخل الفرنسيون آمين في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨١م<sup>(١)</sup> .

وحكى الرئيس الحبيب بورقيبة قصة شيعة بهذه القصة مع اختلاف في بعض الألفاظ وفيها أن الشيخ قعد مطرقاً رأسه وهو يقول " لا حول ولا قوة إلا بالله " فلما سأله أتباعه عن الأمر الذي يقلقه قال لهم : لقد رأيت الخضر وسيدي أبا العباس الشاذلي وهما قابضان بحصان جنرال فرنسا .. ثم أدخلوا الجنرال أمرلوتس .. يا جماعة هذا أمر الله فما العمل ؟ فقالوا له : إذا كان سيدي أبو العباس راضياً ونحن نحارب في سبيله فلا داعي للحرب . ثم دخل الجيش الفرنسي تونس دون مقاومة<sup>(٢)</sup> ثم يقول أبو رقية " إنني أطلعت على الميزانية الفرنسية فوجدت فيها مخصصات ضخمة للطرق الصوفية لأنها تحذر أعصاب المسلمين عن الجهاد<sup>(٣)</sup> .

---

(١) انظر الصوف في الإسلام د/ عمر فروخ ١١ وقد نقل ذلك من المسألة الشرقية لمصطفى كامل ٢١٢ ط مصر ١٩٨٩م والصوفية من الوجه الآخر د/ محمد جميل خلوي ١٠٩ وهذه هي الصوفية الشيخ عبد الرحمن الوكيل ٢٠١ ، ٢٠٢ والإسلام الطريقي د/ لطيفة الأخضر ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) انظر كتب ليست من الإسلام الأستاذ / محمود مهدي الاستنبول ٧٤ هامش ١ ط المكتب الإسلامي ط ١٤٠٣/٢ هـ — ١٩٨٣م .

(٣) كتب ليست من الإسلام ٧٤ ، ٧٥ هامش ١ .



والخلاصة في أمر تونس كما تقول الدكتور لطيفة الأخضر وهي أكاديمية  
تونسية وكما يقول الدكتور التليلي العجيلي وهو تونسي أيضاً أن الطرق الصوفية  
لم تسجل أي مقاومة أمام الاحتلال الفرنسي<sup>(١)</sup> " وأن الموقف العام لهذه الطرق  
يتسم بالسلبية والركون إلى المسألة والمهادنة إزاء دخول المستعمر الفرنسي إلى  
البلاد التونسية<sup>(٢)</sup>.

وترى الدكتورة لطيفة الأخضر أن المقاومة من الطرق الصوفية إن ثبتت لا  
ترجع إلى الدين . وإنما ترجع إلى أمور ذاتية ومصالح دنيوية كإلغاء الخزعة<sup>(٣)</sup> —  
ومنع الزيارات والمس بالأجناس<sup>(٤)</sup> ... الخ<sup>(٥)</sup> . ويزيد د/ التليلي العجيلي العصبية  
القبلية<sup>(٦)</sup> .

والصحيح تفسير ذلك ببعض المناطق دون الكل . وإلا فهناك مقاومة وإن  
كانت ضعيفة لا تصل إلى مساواة المعاونة .

### ٣. ففي الجزائر

سياسة المستعمر مع الطرق الصوفية في بلاد المغرب العربي واحدة . والطريقة  
التي استعملتها فرنسا في الجزائر هي نفس الطريقة التي استعملتها في تونس تقريباً  
ومن وسائل المستعمر في الجزائر . الإغراء بالمال .

يقول الدكتور / عبد الله عبد الرزاق " إن الإدارة الاستعمارية كانت تشجع  
رجال الطرق الصوفية وخصوصاً البيجانية وكان هذا التشجيع بالمال والغزو<sup>(٧)</sup>  
ويقول جوليان منيا على الحكومة الفرنسية " لقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف  
تجمع المتصوفة الذين مولتهم وحتمهم<sup>(٨)</sup> .

---

١) انظر الإسلام الطري ٧٧ والطرق الصوفية د/ التليلي العجيلي ١٤٩ .

٢) الطرق الصوفية ١٤٩ .

٣) أشبه بالخصاصة التي تكون قديم الطريقة وأتباعه في الزوايا الصوفية .

٤) الأجناس : ويقصد بها الأولاد العامة والخاصة .

٥) الإسلام الطري د/ لطيفة الأخضر ٩٦ — ١٠٤ .

٦) انظر الطرق الصوفية ١٣٣ .

٧) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٦٥ .

٨) تاريخ المغرب روم لانتو ١٤٣ والطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٦٦ .

وأرى أن عطية الشيخ محمد الكبير شيخ الطريقة التيجانية في الجزائر والمنسأة  
 " بخطبة الأخلاص " فيها الخدمات الجليلة التي قدمتها الطريقة لتوطيد الاستعمار  
 الفرنسي في الجزائر . وفي تسهيل مهمة الاحتلال . وما يجب على الأحياء  
 والمريدين أن يفعلوه تجاه حبيبة القلوب " فرنسا " لنرى من خلالها أن التيجانية  
 تحولت من مرحلة للمقاومة إلى مرحلة العمالة . قال الشيخ محمد الكبير صاحب  
 المسجدة الكبرى " التيجانية " وهو خليفة الشيخ أحمد التيجاني الأكبر مؤسس هذه  
 الطريقة . وهو من الشخصيات التي تسيطر على جميع أرواح الأحياء والمريدين  
 التيجانيين في مشارق الأرض ومغاربها " إنه من الواجب علينا إعانة حبيبة للربنا  
 مادياً وأدبياً وسياسياً . ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على  
 سبيل الاحساس والشرف بالقيام بالواجب .. أن تصل بلادنا وقليل أن تحتل  
 جيوشها الكرام — كذا ديارنا <sup>(١)</sup> .

وبمثل ذلك بقوله " إن فرنسا حلت عنا ما يظل كواهلنا من أهواء الملك  
 والسيادة وحملت الأمن والثروة والرخاء والسعادة " <sup>(٢)</sup> .

ويفتخر بأن جده الشيخ محمد الصغير رئيس الطائفة التيجانية أظهر شجاعة  
 نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا . وهو الأمير الجزائري عبد القادر . فيقول "   
 ففي سنة ١٨٣٨م كان جدي سيدي محمد الصغير .. أظهر شجاعة نادرة في  
 مقاومة أكبر عدو لفرنسا . الأمير عبد القادر ... وأن جدي أبي وامنيح أن يرى  
 وجهاً لأكبر عدو لفرنسا . فلم يقابل الأمير عبد القادر <sup>(٣)</sup> ثم عدد الأعمال التي  
 قامت بها الطريقة التيجانية لفرنسا . وهي أن :

أ — في سنة ١٨٦٤ م كان عمي سيدي أحمد صاحب المسجدة  
 التيجانية يؤمئذ مهتد السبيل لجنود البوك دوما . وسهل عليهم السير إلى مدينة  
 بسكرة وعاونهم على احتلالها <sup>(٤)</sup> .

١) انظر دراسات في التصوف إحصان علي شهر ٢٧٤ ، ٢٧٥ إدرة ترجمان السنة باكستان د/ت .

٢) انظر دراسات في التصوف إحصان علي شهر ٢٧٥ .

٣) السابق ٢٧٥ وثقة الزائر في تاريخ الجزائر ج ١/٣٠ وما بعدها .

٤) انظر دراسات في التصوف ٢٧٥ والتيجانية د/ علي بن محمد آل دعبل الله ٦٨ .

ب — وفي سنة ١٨٧٠م حل سيدي أحمد تشكرات الجرائرين للبقية الباقية من جنود " التيراور " الذين سلموا من واقعة " ريش . هولن " وواقعة " ويسايور " ولكي يظهر ولاءه الراسخ وإخلاصه الكبير . برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطاً قليلاً فتزوج من السيدة النصرانية الكاثوليكية " أوريلي بيكار " ... وكان زواجها على يد الكاردينال . لافيغري " على حسب الطقوس الدينية المسيحية . ولما تولى عنها سيدي أحمد هذا خلفه عليها وعلى السجادة التيجانية أخوه سيدي علي . وكانوا يسمونها زوجته السيدتين . ونظراً لجهودات — مدام أوريلي هذه المارية السياسية فإن فرنسا الكريمة قد أنعمت عليها بوسام الاحترام من رتبة جون الشرف <sup>(١)</sup> ولما أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرف نالت الحكومة في تقريرها الرسمي ما نعه " إن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى . ولأنها كسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة لولاها ما خرجت من أيدي العرب الجزائريين " التيجانيين " ولأنها سافت إلينا جنوداً مجتهدة من أحباب هذه الطريقة ومريدها يجاهدون في سبيل فرنسا صفاً كأنهم بيان مرصوص " <sup>(٢)</sup> .

واليوم نعيش " أيم التيجاني في مزرعة كبرى لها في ضواحي مدينة بعلباس — وهران — عيشة المترفين ذوى الرفاهية والنعيم وهي الآن لم تقطع علاقتها بالزاوية التيجانية بل لا تزال تسيطر عليها .. ولما لا تزال على مسيحيتها إلى هذه الساعة .. ومن العجيب أن إحدى وستين سنة قضتها كلها في الإسلام وبين المسلمين من ١٨٧٠م إلى سنة ١٩٣٠م لم تغير من مسيحيتها شيئاً . وهذا دليل على ما كانت تكنه في قلبها لخولاء الأحباب الذين حكموها في رقابهم وأموالهم <sup>(٣)</sup> .

(١) دراسات في النصوص ٢٧٥ ، ٢٧٦ والتيجانية د/ دحيل الله ٦٨ والصوفية — الوجه الآخر ١١٠ والإنحرافات العقلية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين على بن تحت

الزهراني ج ١/٥٤٢ دلة مكة المكرمة دار عمل .

(٢) دراسات في النصوص ٢٧٦ والتيجانية د/ دحيل الله ٦٨ والإنحرافات العقلية ج ١/٥٤٢ .

(٣) دراسات في النصوص بحسان الفي شهر ٢٧٦ والتيجانية د/ دحيل الله ٦٢ والإنحرافات العقلية والعلمية ج ١/٥٤٢ .

جـ — وفي سنة ١٨٨١م كان أحد مقاديباس<sup>(١)</sup> عبد القادر بن حمدة قد مات شهيداً مع الكولونيل فلاتين حيث كان يعاونه على احتلال بعض النواحي الصحراوية<sup>(٢)</sup>.

د — وفي سنة ١٨٩٤م طلب متاجون كومبون والي الجزائر العام يومئذ أن تكتب رسائل توصية . فكتبنا عدة رسائل إلى أحباب طريقتنا فأمرهم بالسمع والطاعة لحملته فلولامي الفرنسية . وأن يعاونوها على احتلال تلك البلاد وعلى نشر العقيدة فيها<sup>(٣)</sup>.

هـ — وفي سنة ١٩٠٦م — ١٩٠٧م أقام جاسوس برتبة ضابط ويدعى مرات في زاوية كوردان شهراً كاملاً لأداء مهمة سياسية .. وكتب له شيخ الطريقة رسائل توصية إلى أتباعه نبشروهم بالاستعمار الفرنسي وتأمرهم بالسمع والطاعة والاستسلام والخضوع العام<sup>(٤)</sup>.

و — وفي الحرب العالمية أرسلنا ووزعنا في شمال أفريقيا منشورات تلغرافية وبريدية استتكر فيها شيخ الطريقة دخول الأتراك في الحرب ضد فرنسا الكريمة .. وأمرنا أحباب طريقتنا بأن يقرأوا على عهد فرنسا وعلى ذمتها ومودتها<sup>(٥)</sup>.

ز — وفي سنة ١٩١٦م أجابة لطلب المارشال ليوتي عميد فرنسا في مراكش كان سيدي علي — صاحب السجادة الذي كان قبلي — كتب ١١٣ رسالة توصية للزعماء الكبار وأعيان المغرب بأمرهم فيها بإعانة فرنسا في تحصيل مرغوبها وتوسيع نفوذها<sup>(٦)</sup>.

(١) هي رتبة في الطريقة البجاية . والمقدم من أجازته الشيخ في تلقين الفرد للنس .

(٢) دراسات في الصوف ٢٧٧ والبيجانية د/ دجيل الله ٦٨ .

(٣) دراسات في الصوف ٢٧٧ والبيجانية د/ دجيل الله ٦٨ .

(٤) دراسات في الصوف ٢٧٧ .

(٥) السابق ٢٧٧ .

(٦) السابق ٢٧٧ باعصار .

حـ - وفي سنة ١٩٢٥م كتب شيخ الطريقة إلى القوار في المغرب الأقصى " فاس " يأمرهم فيها بالخضوع لفرنسا<sup>(١)</sup> .

وبالحملة فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التيجانية نفوذها الديني إلا وأسرت بكل فرح ونشاط بتلبية طلبها وتحقيق رغائبها . وذلك كله لأجل عظمة ورفاهية وفخر حبيبتنا فرنسا النبيلة<sup>(٢)</sup> والله المستول أن يجلد وجودها بيننا لنتمتع برضاها الخالد ، ثم ختم خطبته بالثناء العاطر على كبار الضباط العسكريين والموظفين الفرنسيين واحداً واحداً<sup>(٣)</sup> .

وإذا كان لنا تعليق على ما قدمته هذه الطريقة لفرنسا وما منحته إياها فهو أن التيجانية في الجزائر كانت موالية لفرنسا ومعاونة لها . ولولا الخدمات التي قدمتها ما احتلت الجزائر . والحقيقة أن هذه الطريقة ما تركت شيئاً يمكن أن يحقق لفرنسا أطماعها الاستعمارية إلا وقامت به على أكمل وجه حتى لو كان ذلك التجسس جاء في كتاب " تاريخ العرب الحديث والمعاصر " تحت عنوان " المتعاونون مع فرنسا في الجزائر .. إن بعض الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانقياد والسلبية في النضال . استخدمهم الاستعمار كجواسيس<sup>(٤)</sup>

ويقول الدكتور / مبارك محمد الملي : كانت جمعية العلماء في الجزائر تخضوع على أخطا من هؤلاء - يعني أصحاب الطرق - وكانوا يحضرون جلساتها لا خدمة لعابها ولا إعانة لإدارتها ولكن عينا علينا فاجرة تبلغ وتشي إلى إدارة الأمور الأهلية<sup>(٥)</sup> .

١ السابق ٢٧٧ باختصار وانظر كذلك مشيى الخوازي الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني للنشيخ محمد الحضر الشنيطي ٦١٦ - ٦٢١ دار البشور عمان الأردن ط ١/١٤١٥هـ .

٢ دراسات في الصوف ٢٧٨ .

٣ السابق ٢٧٨ .

٤ انظر الصوفية . الوجه الآخر د/محمد جميل غازي ١٠٩ وقد نقل ذلك من كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر " .

٥ انظر رسالة الفرق ومظاهرة تأليف مبارك بن محمد الملي ٢٤٨ دار الغرب الإسلامي ط ١٤٢١/٥ - ٢٠٠٠م والصوفية نشأتها وتطورها محمد العبد وطارق عبد الحليم ١٠٣ ، ١٠٤ .

وم يقل أمر التيجانية في الجزائر عند هذا الحد بل وقفت في وجه الذين رفعوا راية الجهاد ضد فرنسا . وهو الأمير عبد القادر الجزائري . كما وقفوا في وجه الإصلاحيين أيضاً من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس <sup>(١)</sup> وعبد البشير الإبراهيمي <sup>(٢)</sup> وغيرهما .

ذكر روم لاندو في كتابه تاريخ المغرب وثيقة خطيرة بعث بها خليفة التيجاني إلى أتباعه رداً على رسالة المارشال " بوجر " بمناسبة الحرب بين فرنسا والأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٩٢٥م يدعو فيها إخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنهم من المسلمين <sup>(٣)</sup> .

فالتيجانية كانت تقف في وجه الأمير عبد القادر الجزائري لأنه كان يحارب حمية قلبها فرنسا . وقد تقدم أن شيخ الطريقة قال " إن جدي أبي وامتنع أن يرى وجهها لأكثر من مرة لفرنسا . فلم يقابل الأمير عبد القادر <sup>(٤)</sup> علماً بأن الأمير كان

مكتبة الكونجرس الرياض ط ٤ سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م والطريقة وعلاقتها بالاستعمار مستندات للهندي ٤٠٣ .

(١) هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ولد عام ١٨٨٩م أسس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر . وكان شديد الحملات على الاستعمار والطريقة أيضاً له تفسير القرآن ط باسم مجالس التذكير توفي عام ١٩٤٠م انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج ٢٨٩/٣ والموسوعة الحركية ج ١/١٣٤ - ١٤٣ وابن باديس حياته وآثاره جمع ودراسة د/ عمار الطالبي ج ٧٢/١ - ٩٨ دار المغرب الإسلامي بيروت ط ٢/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م وعبد الحميد بن باديس العالم الرياني والزعيم السياسي د/ مازن مطلياني ٢٧ - ٤٥ دار القلم دمشق ط ٢ سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(٢) ولد الشيخ محمد البشير عام ١٨٨٩م نفس العام الذي ولد فيه ابن باديس . وشاركه جهته العلمية والجهادية - له مؤلفات كثيرة وغرافته وآرائه سجن وعذب توفي عام ١٩٦٥م انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٥٤/٦ والموسوعة الحركية ج ٣٥/١ - ٤١ .

(٣) انظر تاريخ المغرب في القرن العشرين ١٤١ والطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٦٦ .

(٤) دراسات في الصوف ٢٧٥ ونحفة الزائر في تاريخ الجزائر ج ٣٠/١ .

صوفياً كبيراً وصاحب طريقة كما تقدم . ولكن شأن بين طريقة صوفية . تقاوم " في البلدان " وطريقة تعاون .

ولقد نجحت فرنسا في تجنيد التيجانية بكل طاقاتها لتحقيق مصالحها وخاصة رقوقها في وجه الأمير الجزائري كما نجحت أيضاً في تجنيد بعض الشخصيات الفرنسية لخداع الجزائريين وتضليلهم . وذلك للحصول على فتوى تدل على عدم مشروعية المقاومة التي يقودها الأمير الجزائري من هؤلاء " ليون روش " <sup>(١)</sup> وهو فرنسي قام برحلة إلى مصر سنة ١٨٤٢م متكرراً في زي حاج مسلم من أجل الحصول على موافقة من العلماء على نص فتوى بما من الجزائر تجعل الجهاد ضد الفرنسيين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة . ومن ثم ضرورة الرضا بحكم الفرنسيين للجزائر . وعدم شرعية المقاومة التي يقودها الأمير عبد القادر الجزائري <sup>(٢)</sup> .

ولما كانت التيجانية تمثل شوكة للأمير عبد القادر في الجزائر بسبب اعتدادها بفرنسا فقد أراد القضاء عليهم قبل أن يقاتل الفرنسيين <sup>(٣)</sup> واستطاع الرجل أن يكشف أسرارهم ويهتك أستارهم . وكانت له الغلبة عليهم <sup>(٤)</sup> .

(١) ولد ليون روش " ١٨٠٩ - ١٩٠٦م " بمدينة غرونويل بفرنسا - تعلم اللغة العربية وأصبح ترجماناً في جيش الفرنسي الحق بجيش الأمير عبد القادر عام ١٨٣٧م بحجة إسلامه . وقد نجح في التقرب من الأمير . حتى أصبح كاتم سريه وعندما تمكن من معرفة جميع أسلحته ومخططة العسكرية وقدراته المادية وثقات ضعفه وقوته عاد إلى مقر قيادة الجيش الفرنسي . وكان له دور مهم في إسقاط القطيعة بين الأمير والسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن . وفي إعداد الخطط الحربية للقضاء على المقاومة " راجع مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب يوسف منصورية ١٧ إلى ٤٤ المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط الأولى ١٩٩٠م . وموقف الإبراهيمي من الطرق الصوفية المتحولة في الجزائر د/ محمد زرماد ٣٤٢ هاسفي ١٣٧ بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت

(٢) انظر الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية . ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ج ٢٤٩/١ من إصدار دائرة الملك عبد العزيز بالرياض .

(٣) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٩٦

كما ولقت العيجانية في وجه الأمير عبد القادر الجزائري وقتت كذلك في وجه المصلحين " ابن باديس . والشيخ البشير الإبراهيمي " .

فقد رأى الشيخان أن الاستعمار الروحي . والذي يمثل مشايخ الطرق الصوفية لا يقل خطراً عن الاستعمار المادي<sup>(١)</sup> فلا بد من التصدي له والقضاء عليه . وهذا يعني وقوع النزاع بين الطرفين ومن وراءهم الاستعمار والإصلاحيين . ويأتي رجل يدعي محمد بن عليوة ت ١٩٣٤م صاحب الطريقة العلوية ويؤلف رسالة يتجبراً فيها على مقام النبوة الكريم ويرد عليه ابن باديس برسالة شديدة قسرتها كثير من العلماء<sup>(٢)</sup> فيمتلأ قلب ابن عليوة وأتباعه غيظاً . وعلى الفور ذهبوا مؤامرة لاختياله وقتله . وأرسلوا له من ينفذها ... وترجع له الجاني في الطريق وهو عائد إلى بيته في منتصف الليل وهو على رأسه امرأة شجعت رأسه وفر . ولكن إلى أين ؟ إلى منزل الإمام ليخبا فيه ويقضي عليه بالتجبر . ولكن غاب عنه . وقبضت عليه النجدة وكادوا يفتكون به لولا تدخل الشيخ ابن باديس قائلاً لهم — كفوا عنه فليس اللدب ذنبه فما هو إلا صخرة مسخرة<sup>(٣)</sup> ويقصد الشيخ ابن عليوة وأصحابه .

وهناك من يقول إن هذا الاعتداء كان يبعاز من الإدارة الاستعمارية التي ضاقت فرعاً بالإمام ونشاطه<sup>(٤)</sup> .

وإذا كانت الطريقة العيجانية قد تحالفت في الجزائر مع الإدارة الاستعمارية . فإن موقفها يختلف تماماً في دولة الحاج عمر التوي العكرووي جاء في حاضره العالم

(١) انظر دعوى الإصلاح الإسلامي بين الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر والدعاة المصنفين له في الشرق العربي د/ محمد نصحي عثمان ٤٣٨ .

(٢) السابق ٤٦٦ .

(٣) انظر ابن باديس حياته وآثاره ج ١٥٣/٣ — ١٦٣ .

(٤) انظر العلويون والخيال ابن باديس مقال على شبكة الانترنت eolen an bui

(٥) انظر عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي د/ مازن مطلقاني ١١٣ .



الإسلامي " ومن الغريب أن التيجانية في الجزائر تنصح بالموالاة للفرنسيين . وفي السودان ترفع راية الجهاد <sup>(١)</sup>

فقد وقف هذا الرجل لداً عنيداً ومجاهداً كبيراً في وجه الاستعمار الفرنسي بكل ما أوتي من قوة على عكس ما كان في الجزائر <sup>(٢)</sup> والسبب في ذلك يرجع إلى : طبيعة الدراسة التي درسها الحاج عمر التكروري في الأزهر وإقامته في مصر . فقد أثر ذلك في توجيه حياته وجعله يكره الاستعمار والمستعمرين ويقاومهم <sup>(٣)</sup> .. وإن الرجل كان ميسوراً وخاصة بعد زواجه من ابنة السلطان محمد بلو بن عثمان <sup>(٤)</sup> بخلاف معظم الطرقية في الجزائر فلم كانوا ينتظرون عطاء فرنسا ونوالها مع حرص على النفوذ والشهرة . لذلك استغلوا هذا الجانب في التيجانيين <sup>(٥)</sup> .

أن جهاد الرجل أثمر دولة أصبحت خطراً كبيراً على الاستعمار <sup>(٦)</sup> يقول أحد الباحثين " أسس الحاج عمر القوي التكروري إمبراطورية كبرى في غرب القارة وطبق فيها أسس التيجانية <sup>(٧)</sup> أما الآخرين فقد باعوها للفرنسيين بثمن بخس . والذي يلتفت النظر في التيجانية لثما توجه بتلقائية من مشائخها . والقياد من أربابها في الجزائر وجههم المشايخ إلى الفرنسيين لأعوانهم وفي الاستغال وجههم الحاج عمر إلى المقاومة فقاوموهم . فالطريقة الواحدة تختلف من بلد إلى بلد ومن شخص إلى شخص حسبما يوجهها هذا الشخص . وهذا ما يجعلها توالي في مكان وتعادي في مكان آخر .

١) انظر حاضره العالم الإسلامي لوروييه ستودلرد تعليق الأمير شكيب أرسلان ج ٤٦/٣

٢) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٩٦ .

٣) انظر التيجانية د/ دحبل الله ٧٠ .

٤) انظر تاريخ المسلمين في ألبانيا ومشكلاتهم د/ خولي عطاء الله الجمل وعبد الله عبد الرازق ٩٩ .

٥) انظر التيجانية د/ دحبل الله ٧٠ ووجوه مجاهدة الحاج عمر التكروري الأهمري .

٦) انظر حاضره العالم الإسلامي ج ٤٩/٣ .

٧) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية د/ عبد الله عبد الرازق ٣٦ .

وهذا ما نجده أيضاً عند القادرية في الجزائر أيضاً . فقد أرسل شيخ الطريقة القادرية رسالة إلى الشعب الجزائري مطالبه فيها بالانضمام للجيش الفرنسي أو تقديم العون المادي للمجهود الحربي يقول ما نصه "وها أنا فرد منكم أقدم نفسي بإخلاص لدفع إعانة مالية عوضاً عن عجز صحتي البدنية قدرها عشرة آلاف فرنك"<sup>(١)</sup> . ولقد كان ذلك بما فعله الأمير عبد القادر الجزائري وهو قادري أيضاً في المرحلة الأولى من جهادة الفرنسيين ففي الطريقة الواحدة المقاوم والمعارن . والموالي والمعادي . وهذا الأمر من الخطورة بمكان . للدرجة أن الباحث لا يستطيع الحكم بسهولة على طريقة ما بأنها موالية على طول الطريق . أو معادية على طول الطريق والحكم الصحيح أن لكل حالة له حكمها ولكل حادث حديث .

#### ٤ . في المغرب :

حين قام المجاهد الكبير المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي بالجهاد ضد الأسبان في الريف المغربي . في النصف الأول من القرن الرابع الهجري تألب عليه بعض مشايخ الطرق وقدموا بحياته في كثير من المراتق<sup>(٢)</sup> . فحياتاته بعض مشايخ الطرق الصوفية كانت من معوقات جهاد الأمير ضد الأسبان . ولا ننسى الدور الحيث الذي قام به ليوني " المقيم العام الفرنسي في المغرب " للإيقاع بين زعماء الثورة وإحداث الفرقة في صفوف الثوار . وراح يتحالف مع بعض مشايخ الطرق الصوفية . وخصوصاً شيخ الطريقة الدرقاوية . وقد فشلت خطة ليوني في الإيقاع بين الزعماء في منطقة الريف<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر عبد الحميد بن باريس / د/ مازن صلاح تطبيق ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) انظر الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا الأستاذ أنور الجندي ٥٢ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ط ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

(٣) انظر تاريخ المغرب في القرن العشرين روم لاندو ١٥٣ وتاريخ المغرب في العصر الحديث والمعاصر د/ هوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق ٢٣٠ .

وإن تعجب فأعجب من شيخ الحديث في المغرب وحافظها — العلامة الشيخ محمد عبد الحى الكتاني<sup>(١)</sup> والذي يعد آية في علوم الحديث ت ١٩٦٢م وهو أيضاً صوفي كبير — شيخ الطريقة الكتانية<sup>(٢)</sup> كان موالياً للاستعمار الفرنسي في المغرب ومنافحاً عنه يقول الزركلي عنه " ولما فرضت الحملة الفرنسية على المغرب سنة ١٩١٢م انغمس في موالاة<sup>(٣)</sup> وجاهر بالبيعة لابن عرفة صنيعة الفرنسيين<sup>(٤)</sup> " وكان على ما فيه من انحراف عن الحادة في سياسته صديقاً من صدور المغرب<sup>(٥)</sup> .

وهذا الذي دعا الشيخ محمد البشر الإبراهيمي يؤلف كتاباً في نقد سيرته سماه " نشر الطي من أعمال عبد الحى " <sup>(٦)</sup> وقد نشرت جريدة أخرى لحظة صورة أريول مسئول فرنسا وهو يمنح وسام الجيوت دونور في ٩ مارس ١٩٥٢م للكتاني في قصر الأليزية<sup>(٧)</sup> .

---

(١) هو محمد عبد الحى بن عبد الكريم بن محمد الحسى الأندلسي المعروف بعد الحى الكتاني .. ولد وحلم بغنى سنة ١٢٠٥هـ — ١٨٨٨م وكان معادياً للأسرة العلوية . اعتقل سنة ١٩٠٩م سافر إلى كثير من البلدان فصرف على رجال الفقه والحديث في مصر والحجاز والشام والجزائر وتونس والقروان وعاد بأحamal من المخطوطات له مؤلفات كثيرة في الحديث والتصرف عرف عام ١٩٦٢م انظر لوجته في الأعلام للزركلي ج ١٨٨/٦ .

(٢) الطريقة الكتانية تنسب إلى أبي القيس محمد بن عبد الكبير الكتاني فقيه مغتلف من أهل فاس بالمغرب أسس هذه الطريقة سنة ١٢٩٠ — ١٣٢٧هـ . انتقد عليه علماء فاس لساد عقيدته له مؤلفات أشهرها حياة الأنبياء ولسان الحمى البرهانية في الذب عن شعار الطريقة الأحمدية الكتانية انظر الموسوعة الميسرة ج ٢٦١/١ .

(٣) الأعلام ج ١٨٨/٦ .

(٤) السابق ج ١٨٨/٦ .

(٥) السابق ج ١٨٨/٦ .

(٦) السابق ج ٥٤/٦ .

(٧) انظر الطرق الصوفية د/ السهلي ١٦٩ .

ويذكر الدكتور تقي الدين الهلالي عداوة الكتاني للتيجانية — وأن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه شيخاً للطريقة الكتانية فيقول " وكان الشيخ عبد الحلي الكتاني عدواً للطريقة التيجانية — لأنه كان شيخاً رسمياً للطريقة الكتانية . وإنما قلت رسمياً لأن أهل رسلان أعني الكتانيين أنصار الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني لا يعترفون به — أي بالشيخ عبد الحلي ويقولون إن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه على الكتانيين فرضاً<sup>(١)</sup>

وإذا كان الاستعمار الفرنسي قد أقام شيخاً للطريقة الكتانية . فلا بد إن يوالىهم لأنهم أصحاب نعمة وفضل عليه بالرغم أنه لم يكن المؤسس الفعلي للطريقة وباعتباره هو يقول : الدكتور تقي الدين الهلالي في حوار له معه " والطريقة الكتانية التي أنت شيخها ؟ فقال لي كل الطرائق باطلة . وإنما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم .. قال أنا لم أسس الطريقة وإنما أسسها غيري " (٢) .

وبسبب موالاته للاستعمار وانغماسه في الطريقة دخل مع الشيخ الإبراهيمي في معارك . وكانت بينهما وقائع شديدة يقول الدكتور / محمد بن زرمان " ودخل الإبراهيمي للمركة ضد عبد الحلي الكتاني في حاسة شديدة . وكتب مقالات عديدة تحدث فيها عن هذه الشخصية تارة في معربة وتقكم وتارة أخرى في ثورة وغضب وكشف عن سوءاته . وأبان عن عيائنه العظيمة لشعبه ودينه . وعن الخدمات الجليلة التي قدمها للاستعمار . كما فضح أسباب زيارته للجزائر عام ١٩٣٨م وقال عنه " إن هذا الرجل منذ كان الاستعمار في المغرب آلة صماء في يده . يديره كما شاء . ويريده على ما شاء بحركة للفتة فيتحرك ويدعوه إلى تفريق الصغوف فيستجيب . ويندبه إلى التضريب والتخريب فيجده أطوع من بتاته ويريد

(١) الفكر الصولي في ضوء الكتاب والسنة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ٧١٢ ، ٧١٣ دار الحرمين للطباعة ط ٤ سنة ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م وصيد الفوائد مقال على شبكة الإنترنت Saoud net.

(٢) الفكر الصولي في ضوء الكتاب والسنة ٧١٥ .

منه أن يكون حيّ تنهك فيكون طاعونا يهلك وأن يكون له لسانا فيكون لساناً  
وعينا ويداً ورجلاً ومقراضاً للقطع . وفأساً للقلع . ومعولاً للنصدع . وما شاء  
الاستعمار إخماد حركة إلا كانت على يديه البركة . وما شاء العنقب على  
العاملين المصلحين والمطالبين بالإصلاح إلا وداهم بالذاهية النكراء والصليم  
الصلعاء<sup>(١)</sup> .

فلواء الشيخ الكتاني للاستعمار الفرنسي معروف ويمكن أن يقال إن سببه هو  
خلاله مع الأسرة العلوية المالكة كما يقول الزركلي في الأعلام<sup>(٢)</sup> كرد فعل . لكن  
ذلك لا يبرر ولاؤه أبداً لفرنسا . حتى يذهب إلى باريس ويختار الإقامة فيها حتى  
وفاته سنة ١٩٦٢م بعد أن قالت بلاده الاستقلال عام ١٩٥٥<sup>(٣)</sup> .

ومن متصوفة المغرب — الجليلاني بن عبد السلام اليوسفي والذي يلقب بأبي  
حجارة<sup>(٤)</sup> . ولد اتصل هذا الرجل بكثير من متصوفة تونس والجزائر . وفي الجزائر  
قام شيوخ الطرق بحمل دعايته بتوجيه من الموظفين الفرنسيين ووعده بتقديم  
العون إذ أتى بالقنطرة على القيام بحورة نصرة الدين<sup>(٥)</sup> . ففعلاً قام الرجل بثورة  
على السلطات المغربية لتحقيق مآربه السياسية وليصبح أميراً على البلاد . ودامت

(١) انظر موقف الإبراهيمي من الطرق الصوفية المنحرفة في الجزائر د/ محمد زمران ٢٤٦ ، ٣٤٧  
بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت ع ٤٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ —  
يونيو ٢٠٠١م .

(٢) الأعلام ج ١٨٨/٦ .

(٣) السابق ج ١٨٨/٦ .

(٤) هو الجليلاني بن عبد السلام اليوسفي الطرهرقي — أحد كبار القوار الذين نسفوا استقلال المغرب  
وعجلوا خروجه في العقد الثالث من القرن الرابع عشر ولد عام ١٢٨٢هـ — ١٨٦٥م وغلب عليه  
كعبة أبي حجارة فلا يعرف إلا بما يلقب بالروكي يعني "الفتان" كان ذكياً ادعى أنه من الأسرة الحاكمة  
واستولى على بعض المناطق وحكمها أعدم في فاس ١٣٢٧هـ انظر ترجمته في أعلام المغرب العربي  
عبد الوهاب بن منصور ج ٣٠٣/١ للطبعة للملكية الرباط ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .

(٥) أعلام المغرب العربي ج ٣٠٧/١ .

ثورته المضمومة على البلاد سبعة أعوام انتصر فيها في كثير من المواقع وأقام دولة وعين العملاء والجواسيس في مناصب كبيرة حتى إنه عين كابريل دبيرييل الجاسوس الفرنسي رئيساً لأركان الحرب ومديراً للعلاقات العمومية . وبعد فترة تمكنت القوات المغربية من القبض عليه وعلى أتباعه وحكم عليه بالإعدام سنة ١٩٠٩م<sup>(١)</sup> .

وهذا الرجل ليس صوفياً على الحقيقة وإنما هو دعي انتحل التصوف واتخذته ستاراً لتحقيق مآربه وأغراضه . ولذلك يقول ابن منصور مؤرخ المغرب المشهور وليد الجليلي بقسمه تخلى عن الخدمة واستشعر نخلة التصوف . وبدأ يتجول في القبائل داعياً إلى الله في صورة عابد ناسك وهو يبحث في الحقيقة عن المكان الصالح لإعلان دعوته ولا ناس الأغرار القادرين على القيام بها والاستماتة في سبيلها<sup>(٢)</sup> .

واغتر بدعوته الأغرار والسذج بطبيب من السلطات الفرنسية التي كان يهمل مثل هذه التورات لأشاعة الفوضى ونشر الفتن في المغرب حتى فمن قواه ويسهل ابتلاعه<sup>(٣)</sup> فأبى حجارة وإن كان جاسوساً وأقام الجواسيس في حكمه لم يكن صوفياً . وإنه كان دعياً . ولست بذلك مع الشيخ الزهراني في جعله أبا حجارة من الصوفية<sup>(٤)</sup> .

#### ٥ . في السودان :

شان ما بين المهتدية والخنمية أو المرعنية<sup>(٥)</sup> فإذا كانت المهتدية قد جاهدت المستعمر وقاومته . فإن الخنمية عاونته وساندته . ويكفي الأثرى فضلاً أن نالت السودان حربها واستقلالها بما قدمته من جهاد وقضحيات<sup>(٦)</sup> .

(١) السابق ٢٨٩/١ ، ٣٩٠ باعتصام شديد .

(٢) السابق ج ١/٣٠٥ .

(٣) السابق ج ١/٣٠٧ .

(٤) انظر الانحرافات العلمية والعلمية د/ الزهراني ج ١/٥٤٥ ، ٥٤٦ .

(٥) نسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله المرعني المحبوب ويلقب بالحكم إشارة إلى أنه عظم الأولياء ومنه اشتق اسم الطريقة الخنمية كما تسمى المرعنية ومطافا بطريقة

وكالعادة المتبعة فإن المستعمر عندما يدخل بلداً فإنه يبحث عن يدعّم وجوده ويثبت أركانه . وكانت الطريقة خير من يقوم بهذه المهمة وهذا ما فعله الإنجليز عندما دخلوا السودان يقول أحد الباحثين " وجد الإنجليز أن الختمية غير معين لهم في تنفيذ سياستهم وتحقيق مخططاتهم وأهدافهم <sup>(٢)</sup>

ويذكر أبو حسبو أنه عندما تقرر إعادة فتح السودان كان من رأي الإنجليز والمصريين على السواء أن يرأى الجيش الفاتح رجل " من رجال الدين المتبوعين في شمال السودان ... وكان الزبير باشا وقتها متبياً فاستشر في الأمر فرشح السيد علي المرغني <sup>(٣)</sup> ليكون رجل الدين الذي يرأى الجيش نظراً لما لطاعته الختمية من نفوذ في تلك المناطق . وقد وافق السيد علي المرغني على ذلك حتى يستطيع جمع شمل أتباعه الذين أُرهِقهم الحكم المهدي وُفرق شملهم <sup>(٤)</sup> .

وانفتح السيد علي المرغني في التعامل مع الإنجليز انفتاحاً كبيراً وتحول من مجدي يدافع عن بلده إلى جندي بما جها . وتحكي الروايات أنه لم يستكف أن

أحد المؤسسين عبد الله المرغني المصوب ولد بمكة عام ١٧٨٣م وأكمل العلوم الشرعية على يد علمائها ودرس الفقه والتفسير والحديث واللغة - وكتب كتاب تاج التفسير وبعض الرسائل في اللغة والتوحيد ومصطلح الحديث فكان غلب عليه التصوف فاشتغل به توفي عام ١٨٥٣م بالظائف انتشر الموسوعة المسيرة ج ٢٩١/١ وطائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم رجالها أحمد محمد حلي ١٣ - ٢٠ دار مطبع للنسابة والنشر بيروت لبنان ط ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

١) النظر الاستعمار البريطاني في السودان وعرفه من الإسلام د/ محمد سعيد القمّال ٢ - ٥ صحيفة الصحافة الأكروية السودان ج ٤٨٠٤

٢) النظر طائفة الختمية ٢٦ .

٣) السيد علي المرغني ولد بجزيرة منوي مركز مروي بشمال السودان ١٨٨٠م انتقل مع والده إلى كسلا ولا هزم على يد جيوش المهدي تركه والده مع همه تاج السر الحسن بسواكن وهاجر إلى مصر لعب دوراً خطيراً مع الإنجليز ضد بلاده تول عام ١٩٦٨م انتظر الموسوعة المسيرة ج ٢٩٢/١ .

٤) النظر مذكرات عبد الماجد أبو حسبو ج ٨١/١ ذو حسب للنشر والتوزيع الخرطوم السودان ط

١٩٨٧/١م

يلبس الزي العسكري ويصبح جندياً رسمياً في الجيش الغازي إظهاراً لتأييده للغزو الإنجليزي وتدعيماً لشرعيته <sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية طعن فيها الأستاذ محمد أحمد خير وقال إنها لا تثبت من الناحية التاريخية وإنما من مقترحات الإنجليز ومن اختراع جنود ككتشر فيقول " ولا أدري من أين نعت هذه الفكرة الخبيثة وسكنت في رؤوس الجهلاء مولانا السيد علي الميرغني كما هو ثابت تاريخياً دخل الخرطوم لأول مرة في ١٩٠١م وككتشر دخل السودان وأكمل القتح في عام ١٩٨٩م والخليفة قتل في أم ديكبرات في عام ١٨٩٩م فكيف يكون السيد علي مع الجيش الغازي <sup>(٢)</sup> يقول " وأغلب الظن أن فكرة دخول السيد علي إلى السودان مع الإنجليز هي من اختراع جنود ككتشر .. وإن الإنجليز هم الذين روجوا هذه القصة <sup>(٣)</sup> "

ونفي الرواية لا يضي الولاء والمعاونة للإنجليز وهنا من الأمور المشهورة وإلا فكيف نلهم تكريم الإنجليز له . ومنحهم إياه الملح والرواتب وغير ذلك ؟ ومن ذلك أنهم أعادوا له بناء مسجد الختمية الولسي الذي يعرف في عهد المهدي رغم سياسة الإنجليز المتمثلة في عدم إعادة بناء زوايا الصولية <sup>(٤)</sup> ومكنوه من الخرطوم . وهناك سعوا إلى تمكينه وقيمته للدور المنوط به وأعدوه ليكون زعيماً دينياً لا لطائفة الختمية فحسب بل لكل الطوائف والطرق في السودان . ومنحته الحكومة بعض الأراضي له ولأفراد أسرته ولعل من أهمها ما يعرف بمخيمته السيد علي — كما

(١) طائفة الختمية د/ جلي ٢٧ .

(٢) انظر الختمية — العقيدة والتاريخ والنهج الأستاذ محمد أحمد خير ٥٦ دار الشؤون الخرطوم السودان ط ١٤٠٧/٢ هـ — ١٩٨٧م .

(٣) السابق ٥٧ ، ٥٨ .

(٤) انظر طائفة الختمية د/ جلي ٢٧ وقد نقل ذلك من The sudan under wing ate والاستعمار البريطاني في السودان وموقفه من الإسلام د/ محمد سعيد القيدال ١ — ٤ صحيفة الصحابة الإلكترونية ع ٤ — ٤٨ .



منحته هو وأخوه أحمد الذي آثر المقام في كسلا راتباً شهرياً<sup>(١)</sup> كما منح عام ١٩٠٠م لقب سير ليكون أول زعيم سوداني يحمل هذا اللقب البريطاني حتى الحرب العالمية الأولى<sup>(٢)</sup>

وقد ورد في خطاب اللورد كرومر ديسمبر عام ١٩٠٠م ما يلي " وإني الآن باسم جلالته سأقصد فرداً من أشرف أهالي السودان المسلمين وساماً إنجليزياً نظراً إلى ما عرضه عنه سعادة الحاكم العام لجلالته وهو السيد علي بن السيد محمد عثمان الميرغني الشهير<sup>(٣)</sup> وقد اعترف الإنجليز بولاء السيد علي الميرغني لهم . ولمدة أربعين سنة فقالوا عنه " إنه تقليدياً وبحكم تربيته رجل محافظ ذو شخصية جذابة وله تأثير عظيم على أتباعه وأنه ظل مزيهاً للحكومة البريطانية في ولاء تام ومستمر ولمدة أربعين سنة رغم أنه يتميز بصفة مرالب لا كرجل فعل "<sup>(٤)</sup>

ولما اقترح سبيل عام ١٩١٦م بإيقاف المنح التي تعطى للسيد علي وأخيه أحمد اعترض ولجأت بقوة قائلاً " إنهما من القلائل الذين يقفون إلى جانبنا في صدق وإخلاص "<sup>(٥)</sup> .

وإذا كان السيد علي الميرغني بهذه المثابة فلا غرابة أن يكون هو والفراد طائفته الختمية عربوا ساهرة للحكومة الإنجليزية يقول أحد الباحثين " إن أفراد طائفة الختمية كانوا عينا ساهرة للحكومة تكشف وترصد كل تحرك مناوئ لها من أتباع المهدي وبقايا الموالين لها<sup>(٦)</sup> ويبدو أن حصول السيد علي الميرغني على راتب

(١) انظر طائفة الختمية د/ جلي ٢٧ .

(٢) السابق ٢٧ ، ٢٨ ولد غل ذلك من ٩٩ p . The sudan under wingate .

(٣) انظر السودان عبر القرون — مكى حبيكة ٤٨١ دار الثقافة بيروت لبنان ط ٣ / ٥ . ت .

(٤) طائفة الختمية د/ جلي ٢٨ .

(٥) السابق ٣١ .

(٦) طائفة الختمية ٣٠ ، ٣١ .

شهري من الإنجليز هو وأخوه أحمد كان موجوداً من قبلهما محمد الختم المرغني<sup>(١)</sup> والمرغني الأخرى في عصر<sup>(٢)</sup>.

ويرى الأستاذ محمد أحمد خير أن السيد علي المرغني كان على العكس من ذلك تماماً . فالرجل كان وطنياً محباً لبلاده . وكان يرفض الإنجليز . ويواجههم . وكان مسدده لا يفارقه<sup>(٣)</sup> وأنه كان يرفض السلطة الإنجليزية الحاكمة<sup>(٤)</sup> ويرى أنه لولا جهاد السيد علي المرغني ما نالت السودان استقلالها<sup>(٥)</sup> وكان بودي أن يذكر الأستاذ محمد أحمد خير للسيد علي المرغني وأتباعه من طائفة الختمية موقفاً جهادياً واحداً يحمل فيه السلاح ويجاهد الإنجليز . ولكنني لم أجد ذلك وعلمت أنها مجاملة المحب الذي يتقاضى عن عيوب من يحب . وبالتقراءة المتأنية وجدت أن الرجل لا يحب الختمية لذاتها . وإنما لصلتها بالشعبة<sup>(٦)</sup> . أو على الأقل بأنتمهم الاثني عشرية والمعاصرين من الختمية يتبنون بعض مقولات الشيعة في الإمامة وأهل البيت ... بل إن هناك محاولة لدى بعض الختمية المعاصرين للربط بين الطائفتين في العرجة والمستقبل والمصر<sup>(٧)</sup> وقد اعترف محمد أحمد خير بأن الختمية ينتسبون إلى الأئمة الاثني عشرية فقال بعد أن ذكر النسب " وكما هو واضح من النسب أعلاه

(١) هو محمد سر الختم بن السيد محمد سر الختم بن السيد محمد عثمان الختم هاجر من الحجاز إلى مصر وعمل على نشر الطريقة هناك قدم سواكن ليعطد الحملة على عثمان بن وقعه - نزل بالقاهرة ١٣٣٤هـ . انظر الختمية محمد أحمد خير ٤٤ ، ٤٥ وطائفة الختمية د/ جلي ٢٣ مامش ٢ .  
(٢) كان هو وحاله خلفاء للمرغني الكبير في الجزيرة العربية . وكثير من الكتب التي تناهض التصوف وتشنع عليه فهي لا تذكر ذلك . فلماذا ؟ انظر الطرق الصوفية في مصر ذكرها بيومي ١٠٩ والختمية محمد أحمد خير ٤٠ .

(٣) انظر الختمية محمد أحمد خير ٩٨ / ٩٩ .

(٤) السابق ٩٧ .

(٥) السابق ٧٠ .

(٦) راجع في ذلك الفصل الرابع من طائفة الختمية د/ جلي من ١٤١ - ١٦٧ .

(٧) السابق ١٤١ .

فإن السادة المراعية ينتسبون إلى الأئمة الاثني عشرية . عظماء الأمة المهدية .  
ووارثي علوم المصطفى . وباب مدينة العلم . على وشهرتهم تفني عن التعريف بهم .  
لقد كانوا أقطار السماوات ونجوم الأرضين <sup>(١)</sup> .

للاستاذ محمد أحمد غير ختمتي معاصر وشيخي أيضاً . ولذلك جاء كتابه  
بعداد مناقب الختمية ومآثرهم وأغرض الطرف عن حيواتهم ومثالبهم

وهذا كما يقول الشافعي :

وعين الرضا عن كل عب كليلـ

كما أن عين السخط تبدي الساء

وهذا ليس منهجاً علمياً — أما الشيعة . فكانه طالع بذلك وحسبنا أن تذكر  
بعض النصوص لتأكيد ذلك . من ذلك لناؤه على الحسيني وقوله عنه " إنه إمام  
عظيم من أئمة آل البيت " <sup>(٢)</sup> وبشر بأن البعث القادم سيكون على يد الشيعة  
فيقول " إن البعث القادم لن يكون إلا على أيدينا " <sup>(٣)</sup> وبشاركتي في هذا الرأي د/  
جلي . وهذا ما انتهى إليه في بحثه عن الختمية <sup>(٤)</sup>

وقد أثمرت الطرق الصوفية في السودان أحزاباً مختلفة كانت امتداداً لمبادئها  
وأفكارها . فكان فيها حزب الأمة . والحزب الوطني الاتحادي الديمقراطي .  
والأول يعمل الطريقة المهدية . والثاني يمثل الطريقة الختمية

وكان الأولى والأجدر بالمهدية أن تسير على نهج المهدي الذي حرر السودان  
من المستعمرين وأعاد لها عزها وكرامتها ولكنهم للأسف شاركوا الختمية في وضع  
أيديهما في يد الصليبي الحاقد المالك " جون جروك " والمهجوم على دولة السودان

(١) نظر الختمية — العقيدة والتاريخ والمنهج محمد أحمد خير ٣٢ .

(٢) الختمية محمد أحمد خير ١٢٧ .

(٣) السابق ١٢٨ .

(٤) نظر طائفة الختمية د/ جلي ١٢٧ — ١٧٠ .

. ولا نشك في مدى معرفتهما بخطورة ما يفعلان — وهما اليوم مخلب قط في يد العدو الصليبي يحاربان أخوانهم في الدين<sup>(١)</sup>.

إن هذه النماذج قربنا كيف استغل الاستعمار الطرق الصوفية لصالحه ومصالحه ولولا استعدادهم وقبيلتهم لذلك ما قبلوا سياسة المستعمر وجدت استعداداً وقبولاً تدل على مدى إنساق الطريقة وانقيادهم بدون فهم ولا وعي . وذلك دليل على غياب معنى الولاء والبراء والموالات والمعاداة الذي يعتبر من صميم العقيدة الإسلامية .

ولا ينبغي أن يقال إن هؤلاء أدعياء الصوفية — كلا — فليس فيهم من دعة إلا الشيخ الجيلاني — عبد السلام اليوسفي — والملقب بأبي هارة<sup>(٢)</sup>. أما البقية فإنهم من أصحاب الطرق الصوفية الكبرى المعروفة والمشهورة.

إن التاريخ سطر في صفحاته تلك الصفات — من العمالة — والحياة والتحمس والتي صارت نقطة سوداء في جبين الطريقة — كما صارت دلالة على مدى انحرفها عن مسيرة الجهاد والمقاومة في فترة من أحلك الفترات في تاريخ الأمة الإسلامية .

وعلى الذين يؤيدون الطرق الصوفية مطلقاً دون نظر إلى هذه الخلفيات التاريخية السوداء أن يعيدوا النظر مرة أخرى . ليعلموا الحق ويدركوا الحقائق ويعلموا الأمور على وجهها الصحيح . وإن الجملات التي تغمض العيون عن المسالب والمساوي لا تضمد أمام الأدلة العلمية والحقائق التاريخية .

(١) انظر ما وراء السحاب المشبه مقال الصحابة مجلة البيان التي تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن ص ٤ مجلة البيان ع ١١١ ذو القعدة ١٤١٧ هـ .

(٢) انظر أعلام المغرب العربي — عبد الوهاب بن منصور ج ١/٣٠٣ .

## المبحث الرابع "التقويم"

من خلال هذه الدراسة التي قدمناها عن موقف الطرق الصوفية من الجهاد في العصر الحديث نجد أنها متباينة . فهناك الطرق الصوفية التي جاهدت المستعمر وقارنته . وهناك الطرق الصوفية التي عاوت المستعمر وساعدته . وهناك ثالثة قاومت فترة من الزمن ثم نكصت وتوقفت .

والإنصاف في الحكم يقتضي أن لا نجمع الطرق الصوفية في سلة واحدة لقبليها مطلقاً أو نردها مطلقاً — بل ينبغي العدل . لنأخذ ما عندهم من حق ونرفض ما عندهم من باطل . وهذا هو المنهج الوسط والمعتدل . منهج القرآن . يقول تعالى ﴿ وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ <sup>(١)</sup> ويقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقد أمرنا بالعدل والإنصاف مع من نحب ومن نكره من العذر والصديق . مع البعيد والقريب . يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ خِفَافٌ أَوْ ثَقِيلًا فَلَا تَبْغُوا الْهَوَىٰ إِنْ تَعَدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ {١٣٥} <sup>(٣)</sup>

والمشكلة تكمن أساساً عندما تحدث الخلافات وتثور العداوات . يصبح كثير من الناس عاجزاً عن الأبصار بعينه . فلا يرى إلا القالب والمساوي وعندما قلب رايح المودة فإن كثيراً من الناس أيضاً لا ينظرون إلا بعين الرضا . وقد أشار الشافعي إلى ذلك فقال :

وعين الرضا عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تهدي المساري <sup>(٤)</sup>

(١) النساء آية ٥٨ .

(٢) النحل آية ٩٠ .

(٣) النساء آية ١٣٥ .

(٤) انظر ديوان الإمام الشافعي ١٦٥ تحقيق د/ إميل بدیع مطوب دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط ٢٠٠٤م وديوان الشافعي ١٢٧ ت د/ محمد عبد المصم بطحاجي دار ابن زيدون — ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م

ومن هنا جاءت دعوة شبيب عليه السلام واضحة صريحة للتخلص من هذه النقيصة حين نصح قومه " ويا قوم أوفوا الكيل والميزان ولا تبغسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين " (١) ... (٢)

يقول أحد الباحثين " تنوعت الطرق الصوفية وتعددت الاجتهادات واعتلقت الحابل بالنابل كما يقولون . وأمسى التفريق صعباً على طلاب العلم في بدء سيرهم العلمي ويات التعامل معهم على ثلاثة أحوال :

**الأول :** الاعتقاد أنهم على الصواب وأنهم على وراثة النبوة . وأنهم أفضل الخلق .

**الثاني :** الاعتقاد أنهم على ضلال ويجب محاربتهم وفضح عوارهم وبذل كل شيء منهم .. وفي بعض الأحيان : إخراج كل التصوف عن أهل السنة والجماعة ...

**الثالث :** الاعتدال في الحكم ومحاربة التعميم وأخذ أحسن ما عندهم ورد ما فيهم من مخالفات .

والحق هو المذهب الثالث . يقول ابن تيمية " والصواب إنهم يجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله . لفهم السابق القرب بحسن اجتهاده وفهم المقتصد الذي هو من أهل اليقين . وفي كل من الصنفين من قد

وسكنية الكلمات الأزهرية بالقاهرة كما ورد منسوبة إلى عبد الله بن مغوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . انظر الإغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢٥٠/١٢ تحقيق عبد الأمير علي مهنا ومحمود يوسف جابر دار الفكر بيروت لبنان .

(١) مود آية ٨٥ .

(٢) [http : ll www.jeel , libya](http://www.jeel.libya) انظر الصوفية بين الفهم والتعامل د/ عبد الحميد الكبي ٢ بحث على شبكة الإنترنت ٢

يجتهد فيخطئ . ولهم من يلنب فيتوب أو لا يعوب . ومن المتسعين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه <sup>(١)</sup> .

ويقول ابن القيم في المدارج عما يقع من شطحات والمخراقات لدى بعض المتصوفة " هذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس .

**إلهامهما :** حجت بما عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معادلتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات . وأنكروها غاية الإنكار . وأسأوا الظن بهم مطلقاً . وهذا عدوان وإسراف . فلو كان كل من أخطأ أو هلط ترك جملة راهدت محاسن نفوس العلوم والصناعات . والحكم وتعطلت معاملها .

**والطائفة الثانية :** حجوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن رؤية عيوب شطحاتهم وتقصاها . فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والاتصار لها واستظهروا بها في سلوكهم وهؤلاء أيضاً معتدون مفرطون .

**والطائفة الثالثة :** وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا لكل ذي حق حقه . وأنزلوا كل ذي علة ماله . فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلوم ولا المعلوم السقيم بحكم الصحيح . بل قبلوا ما يقبل ورددوا ما يرد <sup>(٢)</sup> ويقول " النضر الصادق " يضرب في كل غيمة بهم ريعاشر كل طائفة على أحسن ما معها <sup>(٣)</sup> .

فقد عد الإمام ابن القيم كلا طريي النظر للمتصوفة من المعتدين المفرطين . وأخذ المنهج الوسط . وكان منهجه الوسطي هذا والياً في كتابه المدارج الذي

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١/ ١٨٧ مكية المعارف الرباط المغرب .

(٢) انظر مدارج السالكين بين إليك تيمد وإليك لتسعين لأن القيم الجوزية ج ٢/ ٤١ دار الحديث القاهرة . والتصوف بين الألفاظ والطرقات د/ عمر عبد الله كامل ٣٢ ، ٣٣ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط ١٤٢٢/١ هـ - ٢٠٠١ م .

(٣) انظر الصوفية وموضوعة الفهم والمعامل د/ عبد الحميد الكني ٥ ، ٦ مقال على شبكة الإنترنت .

شرح منازل القروي ت ٤٨١ هـ . حتى أنه كان يردد عبارات معروفة عند الصوفية . ويكررها لأن معناها صحيح غير مخالف للشرع . ويتضح ذلك لمن درس الكتاب .

وليت الذين رموا الطرق الصوفية بكل نقیصة وجردوهم من كل منقبة أن يتأملوا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم — وهما من رواد المدرسة السلفية التي تسم بالإنصاف في القول والسداد في الرأي والعدل في الحكم ومن أمثال المجريين المعاصرين . الشيخ عبد الرحمن الوكيل الذي يقول أروني صوفياً واحداً قاتل في سبيل الله ؟ أروني صوفياً واحداً جالد الاستعمار ؟ أو كافحه أو دعا إلى ذلك ؟<sup>(١)</sup> والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في قوله " إن الطرق الصوفية التي كونها الدولة العثمانية كانت سبباً في تمكين الجيوش الصليبية من أرض الإسلام"<sup>(٢)</sup> والشيخ محمد جميل غازي في قوله " إن التصوف من اختراع المستعمرين .. ومن ركائز الاستعمار "<sup>(٣)</sup>

والشيخ محمد حامد الفقي في تعليقاته على مدارج السالكين بأجزائه الثلاثة والشيخ شقفة السوري في قوله " كان كثير من الصوفية يسرون دالماً في ركاب الحكام الظلمة والمستعمرين المنتصرين . فلا يهمهم أمر شعوبهم مادامت قدورهم مملوءة بما للذ وطاب من الأطعمة وخزائنهم تزخر بالمال يمدقه عليهم المستبدون والمستعمرون . ليكونوا مطية لهم . ويصبحوا لرئاسة سهلة الابتلاع"<sup>(٤)</sup>

---

(١) انظر حله في الصوفية الشيخ عبد الرحمن الوكيل ٢٠٠ دار اللواء . الرياض السعودية ط ٥ ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٢ م .

(٢) انظر الفكر الصولي في ضوء الكتاب والسنة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ٥٢ دار الحرمين للطباعة — القاهرة ط ٤ / ١٤١٠ هـ — ١٩٨٩ م .

(٣) انظر الصوفية من الوجه الآخر د/ محمد جميل غازي ٢ — ١ — ١١١ إعداد عبد القم الجبلاوي — الطبعة الثانية بالقاهرة .

(٤) انظر التصوف بين الحق والخلق الشيخ محمد نور شقفة ٢١٠ الدار السلفية ط ٣ / سنة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٢ م .



وقد أخذت بعض البلاد بهذا المذهب فقدحوا في الطرق الصوفية وذموها ولم يرو لها حسنات بل كلها ميثات وشطحات ولم يستثنى من ذلك إلا فئة قليلة منصفة<sup>(١)</sup> والذي دعانا لهذا القول . هو تسجيل التباين في الموقفين والاختلاف بين الرأيين " المتقدمين والمتأخرين " .

وفي المقابل نجد الذين يؤيدون الطرق الصوفية على طول الخط دون نظر إلى أخطائهم ومسايلهم . من أمثال الأستاذ أحمد الخطيب السوري وعضو اتحاد المؤرخين العرب . والذي يرى أن الصوفية استطاعت الجمع بين الجهاد القتالي وجهاد النفس<sup>(٢)</sup> ولم يذكر في كتابه " البطولة والقداء عند الصوفية أو في منه الذي اختصره وصماه " الإطار الدفاعي عند الصوفية أي سلبات لهم على الإطلاق — وكذلك فضيلة الدكتور / عبد الحليم محمود — الذي يرى أن الصوفية هم الذين حققوا الجهاد الإسلامي على مر التاريخ<sup>(٣)</sup> .

إن هذا الحكم المطلق فيه نظر . وقد تقدمت نماذج كثيرة عارلت المستعمر وساعدته . وسجل عملهم التاريخ مواقف كانت في غاية العمالة والحياة . والشيخ محمد ماضي أبو العزيم والشيخ الغنيمي التفتازاني وابنه د/ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني وغيرهم .

والإنصاف في موقف الطرق الصوفية من الجهاد في العصر الحديث . أن تقبل ما عندهم من حق وترفض ما عندهم من باطل — وتثنى على جوانب الخير وعندها وتذم جوانب الشر وتندمها . وتطبقاً لهذا المذهب في الحكم تقول : إن الطرق الصوفية في موقفها من الجهاد في العصر الحديث كانت على ثلاثة طوائف :

١ — الطائفة الأولى : وهي التي أعلنت الجهاد وقاومت الاستعمار وأقضت مضاجع المستعمرين فترة طويلة من الزمن . في ليبيا بقيادة شيخ المجاهدين

---

١) انظر حوار عبد الله بن محمد الرشيد مع الشيخ عبد العزيز القاري . " الصوفية " لم يصنف بتاريخ ١٤٢٦/٦/٣٠ هـ الموافق ٢٠٠٥/٤/٩ م مقال على شبكة الإنترنت .

٢) انظر الإطار الدلالي عند الصوفية أحمد الخطيب ٧٩ — ١٠١ .

٣) انظر مقدمة وتعليق د/ عبد الحليم محمود على المخطوط من الضلال للإمام الغزالي ١٦ — ١٧ .

عمر نحاتر . وفي الجزائر بقيادة أميرها القائد عبد القادر الجزائري . وفي المغرب بقيادة الأمير عبد الكريم الخطاطي . وفي السودان بقيادة الشيخ محمد أحمد المهدي . وفي الصومال بقيادة الشيخ محمد عبد الله حسن . وفي موريتانيا بقيادة الشيخ ماء العينين . وغير ذلك من الحركات التحريرية الصوفية التي جاهدت المستعمر وقاومته حتى نالت حريتها وحصلت على استقلالها .

وهذه الحركات تنتمي في أصلها إلى طرق صوفية مختلفة كالتشاذلية والقادرية والتيجانية وغيرها . وهذه الطرق الرئيسية قد تفرع منها طرق أخرى . كان لها هي الأخرى دور في الجهاد لا ينسى .

وهذه الطرق قد فهمت آيات الجهاد كما ينبغي بلا تأويل ولا تعطيل . وما يسبب إليهم من دعوة الخمول والكسل والسلام والمسالمة المطلقة والدعة والسكون ليس صحيحاً . والأولى أن يطلق عليهم الصوفية المجاهدة أو المقاتلة <sup>(١)</sup> .

فدعوى أننا لم نر للصوفية جهاداً ولم نقرأ لهم استشهاداً باطلة وقد تزعمها بعض المشرقين وثقفها قادة العرب واستغلوها استغلالاً سيئاً . وللأسف ساهروهم في إشاعة هذا المعنى بعض الباحثين العرب المحدثين . وصار ذلك هو الفهم السائد لدى الكثيرين <sup>(٢)</sup> . وهذا شأن المشرقين دائماً إن وجدوا حسنة أغفلوها وإن ظفروا بمفوة أشاعوها ونشروها . ومن أبرز نتائج هذه الطائفة المجاهدة :

أ - حركة التحرير والاستقلال التي ظهرت في معظم البلاد العربية . ويكفي أن تعلم أن ليبيا والجزائر والمغرب والسودان وغيرهم من الدول لم تحصل على استقلالها إلا بفضل مقاومة الطرق الصوفية والمعارك التي خاضتها ضد المستعمرين . ولما يؤسف له أن معظم كتب التاريخ في العصر الحديث والتي تأثرت بالاشتراكية من ناحية والاستعمار من ناحية أخرى — لا تقيم إلا بالجانب السياسي

(١) انظر الصوفية المقاتلة مقال الأستاذ / عبد الحسي ١ - ٣ Esbw an luie

(٢) انظر الإطار الثقافي عند الصوفية - ص ٧٨

وما يحلله القادة من انحصارات أو لزامات دون الغفات إلى الجانب الديني . أو  
الروحي على وجه الدقة .

أما هؤلاء القادة من الصوفية فقد جمعوا بين السياسة والدين . ولم يفصلوا  
بينهما . كما يفعل البعض اليوم . وقادتنا اليوم في حاجة إلى الجمع بين الأمرين .

ب — لم يقف أمر هذه الطائفة عند التحرير والاستقلال بل استطاعت أن  
تتأصل مجتمعاً وقيم دولة . يقول الدكتور / عبد الله عبد الرازق " وصل الأمر ببعض  
الطرق الصوفية إلى حد السعي لتقليد السلطة السياسية مثل الطريقة السنوسية في  
ليبيا . والطريقة القادرية في دولة سكونوا محطة في الشيخ عثمان بن قودي . وذريته  
الذين أسسوا دولة إسلامية في شمال نيجيريا . وظلت تمارس الطريقة القادرية لأكثر  
من قرن من الزمان . وأيضاً تجسد ذلك في الطريقة النيجانية عندما أسس الحاج  
عمر القوتي النكرووي إمبراطورية كبرى في غرب القارة وطق فيها أسس الطريقة  
النيجانية <sup>(١)</sup> .

ج — إن مقاومة هذه الطائفة فضحت الدول الأوروبية وكشفت عن  
أطماعها وأحقادها وخسراتها التي لا تنتهي . والاستعمار هو الوجه القبيح الكاخ  
هذه الدول مهما حاولوا تجميله وتزيينه بأمر وهمية لإخفاء حقيقة . فإن التاريخ لا  
ينسى ما فعلوه بالإسلام والمسلمين . وخاصة في العصر الحديث . وما زالت عظم  
هذه الدول قائمة ومزماراتهم مازية . والواقع المشاهد خير دليل . وكان التاريخ  
يعيد نفسه . فما أشبه الليلة بالبارحة .

٢ — **الطائفة الثانية :** وهي التي رفضت الجهاد ونكصت عن  
القتال . وانضمت إلى المستعمر ووقفت بجانبه منذ البداية جنباً إلى جنب مؤازرة  
ومناصرة وقاتل في صفوفه وتحته رايته . بل ودعوا الناس إلى الرضوخ لها .  
وتحذر من مغبة المقاومة . فقد انتشرت في المغرب أبان فترة المجاهد الكبير محمد بن  
عبد الكريم الخطابي . فتوى تقول بحرم الجهاد ومقاومة المستعمر . ولا شك إن

(١) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم ٢٦ .

إشاعة هذه الفتوى من شأنها أن تحدر مشاعر الجمهور وتقضي على روح الجهاد والمقاومة في وقت أحوج ما تكون فيه الأمة إلى وحدة الصف وجمع الكلمة والوقوف بحد واحد في وجه المستعمر . ومطها أيضاً الفتوى أذاعت في الجزائر أبان فترة جهاد الأمير عبد القادر الجزائري . والتي تجعل الجهاد ضد الفرنسيين من باب لقاء النفس إلى التهلكة وإن جهاد الأمير غير مشروع فلا تجب متابعتة والسو تحت لوائه <sup>(١)</sup> .

ومنه الطائفة من أخطر الطوائف وظنك لما يأتي :

أ - أما عطلت شريعة الجهاد وأولته بالجهاد النفسي كما تقدم . وتعطيل الجهاد سبب لوقوع الدل وحصول العذاب وحدوث الاستبدال . قال تعالى " إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير " <sup>(٢)</sup> وأخير النبي ﷺ أنه ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا يقول " لن ترككم الجهاد وأخذتم أذناب البقر وتباهتم بالعينة ليؤمنكم الله مذلة في قلوبكم لانتفك عنكم حتى تنوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه <sup>(٣)</sup> .

وصديق رسول الله ﷺ لأن الطريقة اغتروا بالكفار فأذنهم الله . فسقطوا أمام أنفسهم قبل أن يسقطوا أما أعدائهم . وسيظل هذا الدل ملازماً لهم لا يبرح عنهم ما لم يعربوا ويرجعوا عن ذلك .

والطريقة في موالاتهم للكفار وتعطيلهم للجهاد مبتدعون محطون — مخالفون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ <sup>(٤)</sup> ويخشى عليهم من الكفرة إذا كانت موالاتهم عن عمد باعتمادات عقلية وقناعات قلبية . أما إذا كانت بسبب خوف أو تقي

١ [ انظر الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية . ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ج ٢٤٩/١ من إصدار إدارة الملك عبد العزيز الرياض السعودية .

٢ التوبة آية ٣٩ .

٣ انظر الفصح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني . الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ج ٤٤/١٥ . نشر دار الحديث . وقال ابننا سنه ج ٤ .

٤ انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة له د/ علي بن نجح العلواني ٤٧٧ .

وخلافهما مع سلامة القلب فلا (١). فالسألة مردها إلى القلوب ولا يعلم ما فيها إلا خالقها. ولذلك لا تقطع بالكفر — إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه.

ب — إنما أعرت الحصول على الاستقلال وعرقلة مسيرة الإصلاح والتقدم والتنمية والوقوف حجرة عثرة أمام حركات الإصلاحيين. من أمثال الأمير عبد الكريم الخطاطي في المغرب. وعبد القادر الجزائري. وعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي في الجزائر وغيرهم.

إذا كان الإصلاحيون يعملون على الإصلاح فإن الطرفية يعملون على الإفساد. وإذا كان الإصلاحيون يقولون بالجماعدة. فإن الطرفية يقولون بالمهادنة.

وإذا كان الإصلاحيون يقولون بالمقاومة فإن الطرفية يقولون بالمعاونة

فمن الطبيعي أن يحدث النزاع بين الجماعتين والصراع بين الفريقين. وكل فريق يحاول أن يتصور لنفسه ومبادئه. وهذا من شأنه أن يضعف الأمة الإسلامية ويشعث شملها ويفرق جمعها. ولا يستفيد من ذلك إلا المستعمر الغازي. وبسبب ذلك الجهل الأعمى والتعصب البغيض. بالإضافة إلى اختلاف الطرق في مداركها وتنوع أورادها وتعدد انتمائها. يقول الدكتور / عبد الله عبد الرازق إبراهيم في هذا المعنى " إن هذه الطرق الصوفية بسبب اختلاف مداركها وتنوع أورادها وتعدد انتمائها لم تحاول تكوين جبهة واحدة ضد العدو الأجنبي. ووجدنا في كثير من مناطق القارة الأفريقية تنافساً بين هذه الطرق وصل إلى حد التعاون مع القوى الولائية ضد حركات الجهاد الإسلامية " (٢).

ويقول أيضاً " ورفض زعماء الطرق الصوفية الانضمام إلى بني وطنهم لتكوين جبهة إسلامية واحدة ضد هذا المعتدي. ولعل خير دليل على هذا العمل قيام الطريقة التيجانية في الجزائر بالتحاليف مع القوى الفرنسية ضد الأمير عبد القادر الجزائري. واضطر الأمير إلى الدخول في صراعات مع زعماء التيجانية. وهذا أمر

(١) انظر أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ج ١/ ٣١٤ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

(٢) انظر الطرق الصوفية في القارة الأفريقية ٢٣٠.

مؤسف بل وعمل لا يليق بالزعامات الإسلامية التي هي أحوج ما تكون إلى التكاتف ضد هذه القوى الأوربية . وحدث نفس الشيء عندما تحالفت القوى الإسلامية من الطريقة القادرية ضد الحاج عمر القوتي العكروري في منطقة ماسينا بل وحاصرت قوات أحمد البكاري القادري قوات الحاج همر الذي اضطر لخوض معركة حربية ضد المسلمين من أجل تخليص جيشه من هذا الحصار . وكانت النتيجة استشهاد هذا الزعيم الإسلامي على أيدي القوات الصوفية وليس على أيدي القوى الفرنسية . وهناك مواقف كثيرة عرضنا بعضها منها في ثانيا الحديث عن الطرق الصوفية في أفريقيا . وكلها توضح أن بعض رجال الصوفية تحالف مع القوى الأجنبية حفاظاً على مكانته أمام منافسة الطرق الأخرى ، فكان هذا عاملاً أضعف المقاومة الإسلامية . وجعل الطرق تنافس بعضها بعضاً . مما أضعف من جهودها أمام التيارات الأوربية الوافدة ...<sup>(١)</sup>

يضاف إلى ذلك معارضة الطريقة العلوية للشيخ ابن بارس باعث النهضة ومؤسس الحركة الإصلاحية في الجزائر ومؤامرتهم عليه والقتل والاضطهاد<sup>(٢)</sup> كما حدث ذلك لصليحة ورفيق قرية الشيخ البشير الإبراهيمي<sup>(٣)</sup> .

جـ — إنما حوت سورة الطرق الصوفية عن مسارها الصحيح . وأصبح ذلك ثلماً في تاريخها بالإضافة إلى المخالفات العقيدية التي وقعت فيها من بدع وغرقات كان سبباً مباشراً في الطعن فيها والنيل من أصحابها .

ويرى الشيخ أبو الحسن الندوي أن هذه الطائفة قليلة في مقابل الأكثرية المقاتلة والمجاهدة فيقول بعد أن ذكر جملة من شهادات القوم قديماً وحديثاً " إن هذه الشهادات متراثرة على جهاد القوم للأعداء . وإن كان هناك أعداء يتعصبون إلى

(١) الطرق الصوفية د/ عبد الله عبد المرازق إبراهيم ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

(٢) النظر ابن باديس حياته وآثاره ج٢/١٥٣ والمعلون والاضطهاد ابن باديس مقال على شبكة الإنترنت

Es lon anbu

(٣) راجع في ذلك البحث القيم الذي كتبه د/ محمد زومان بعنوان مواقف الإبراهيمي من الطرق الصوفية المنحرفة في الجزائر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ٣٠٠ إلى ٣٥٧ ع ٤٥ ربيع الأول

١٤٢٢ هـ - يوليو ٢٠٠١م الكويت ..

الطريقة فيقابلهم عدد أكثر من أئمة التصوف وشيوخ الطريقة الذين فاقوا هؤلاء المتعبون وامتازوا عنهم في الكفاح والجهاد والقتل والنضال والبقاء في معترك الحياة <sup>(١)</sup> .

كما يرى أيضاً أن هذه القلة — قلة خادة لا تأخذ حكم الجمع <sup>(٢)</sup> . وكلام الشيخ الندوي رحمه الله وإن كان مقبولاً في هذه الإحصائية — قلة معارضة في مقابل كثرة مجاهدة . والتي نجعل مصدرها . ولا ندري من أين استقامها وحكم بما إلا أننا نقول . إن هذه القلة ليست من الأدعياء كما يرى الشيخ — فقد أثرت هذه القلة تأثيراً سلبياً ظهر صداه في المجتمعات التي منيت بها وبأفعالها .

٣ — **الطائفة الثالثة :** وهي التي قطعت شوطاً كبيراً في جهاد الأعداء ومقاومة المستعمر . ثم نكثت ونكصت وتوقفت . ويمثل هذه الطائفة الأمير عبد القادر الجزائري ومن معه . فقد جاهد هذا الأمير ضد الفرنسيين سبعة عشر عاماً <sup>(٣)</sup> ولكنه استسلم في آخر الأمر وسلم نفسه لهم فتفوه إلى خارج البلاد . واستطاعوا إغراءه بالمال والسيطرة . فربوا له وآباءه شهرياً بأعنه كل عام وظل الأمر على ذلك حتى تولى في دمشق <sup>(٤)</sup> كما تقدم .

وإذا أردنا تقويم حياة الأمر فإننا نقسمها إلى مرحلتين — وهذا هو المنهج السديد والقول الرشيد في الحكم على الشخصية لأن لكل مرحلة ما يناسبها من الأحكام .

١ — **المرحلة الأولى :** وهي مرحلة الجهاد والمقاومة والاستسلام . والجهاد كما هو ثابت مشروع . وكذلك الاستسلام إذا كان لحكمة أو مصلحة والعصية

---

(١) انظر ربابية لا رهبانية الشيخ أبو الحسن الندوي ١٣٥ ، ١٣٦ النهر حار النصح للطباعة والنشر بيروت لبنان ط ١٣٨٨/٢ — ١٩٦٩ م .

(٢) السابق ١٣٦ .

(٣) انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر الشيخ عبد قزافي البيهقي ج ٢/٨٩٢ .

(٤) انظر الاعلام للزركلي ج ٤/٤٦١ .

الظروف والأحوال .. وكان في مواصلة الجهاد هلاك للأمة وقضاء عليها . ولذلك اضطرر الأمير شروطاً للاستسلام رضى بها الفرنسيون . كما يقول الزركلي <sup>(١)</sup> ولو استرجعنا الحالة الراهنة التي استسلم فيها الأمير لأيقنا بأنها ضرورة اضطر إليها . فإسبانيا وفرنسا تكالبت عليه . والدولة العثمانية التي لها حق السيادة ميتوس منها وسلطان المغرب الأقصى عاجز <sup>(٢)</sup> وخائن انضم إلى معسكر الأعداء نكابة في الأمير <sup>(٣)</sup> ويضاف إلى ذلك غيابة بعض قرى الريف . ومخاربة الطرق الصوفية ووقوفها في وجهه . مع ضعف المدد وقفاذ العدة . لذلك اعتبر مواصلة الجهاد انتحاراً <sup>(٤)</sup>

وجنح للاستسلام . فاختار أمون الشرين وأركب أخف الضرين . ولو كان غيره مكانه لما فعل أكثر مما فعل . يقول الشيخ عبد الرزاق البيطار في اضطرار الأمير " فاضطر حضرة الأمير إلى التسليم للفرنسيين . بعد المشاورة مع وكلائه ووزرائه حيث سدت المناهج والمسالك . وعز الخلاص ولات حين مناص . إذا لم تكن إلا الأستة حركيا فما حيلة المضطر إلا ركوبها <sup>(٥)</sup> فجهاد هذه المرحلة مشروع والاستسلام مشروع أيضا .

ب - المرحلة الثالثة : ما بعد الاستسلام وبالتحديد من سنة ١٨٤٧م <sup>(٦)</sup> وهي مرحلة الولاء للفرنسيين ومعارضة الجهاد والمجاهدين في الجزائر . أو هي مرحلة التحول من الضد إلى الضد حيث ارتقى في أحضان فرنسا وعاش في باريس . وتربا بنشاتها . وأكل من خيراتها . وتفاضى رانيا شهريا من حكامها .

(١) انظر الأعلام للزركلي ج ٢٦/٤ .

(٢) انظر حلية البشر للشيخ عبد الرزاق البيطار ج ٨٨٨/٢ .

(٣) السابق ج ٨٩٢/٢ .

(٤) انظر حاضرة العالم الإسلامي ج ١٩٠/٣ .

(٥) حلية البشر ج ٨٩٢/٢ .

(٦) الإسلام وحركات التحرير العربية ٧٣ .



والأدلة على ولائه . أنه حين اغترمت فرنسا سنة ١٨٧٠ م . أظهر كمال الأسمى والحزن وتغلب على ملائمة الناس مدة <sup>(١)</sup> وفسر ذلك السنوسي أنه من باب الوفاء لفرنسا <sup>(٢)</sup> وحين قام ابنه يحيى للدين بإعلان الجهاد ضد فرنسا . تبرأ منه الأمير وكان ذلك سبباً في انقضاء القبائل وفشل حركته <sup>(٣)</sup> . ثم قارن ذلك بالفتوى التي أصدرها الأمير في مرحلة جهاده واعتباره كل من يساعد فرنسا مرتداً عن دينه <sup>(٤)</sup> .

لنرى لمحة السحيفة والمحدد الخطير الذي آل إليه الأمير .

والسؤال هنا : هل كان الأمير مضطراً إلى ذلك كما كان في المرحلة الأولى وكما يقول عنه تلميذه الشيخ البيطار الذي يلمس له الأعداء في كل أموره وتصرفاته التي تخالف العقيدة ؟ إن هذا التفسير مقبول في فترة إقامته الجبرية في باريس حيث كان منفياً هناك . أما بعد ذلك فقد أصبح الأمير حراً طليقاً . وكان بسبب تدخل السلطان العثماني عبد المجيد الذي دفع له عند فرنسا . ولذلك يقول تلميذه الشيخ البيطار \* وأما حضرة أمير المؤمنين فإن ما أسداه إليه من كفالاته عند فرنسا فلما هي أخته التي لا تقابلها منه حيث إنه قولها لم يتيسر له الخروج من بلاد فرنسا <sup>(٥)</sup> ولذلك زار الأمير بعد ذلك الأسعانة ثم دمشق . وغيرها . وكان بإمكانه أن ينتقل بين بلاد المسلمين ليكمل سيرته ومسيرة الجهادية فقد اتقى عنه العطف والاستضاف الذي عذر الله به المسلم في سورة النساء في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ { ٩٧ } إِلَّا

(١) المرحلة الحجازية ج ٢٠٠/٣ .

(٢) الانحرافات العقيدة ج ٥٤٠/١ .

(٣) راجع في ذلك الحيلة ج ١٤٢٢/٣ والغرب العربي ج ٢١٦/١ .

(٤) الإسلام وحركات التحرير ٧١ .

(٥) حلية البشر ج ٨٩٦/٢ .

الْمُسْتَظْفَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدَانِ لَا يَسْتَظِفُّونَ حِمْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا  
{٩٨} فَأَوَّلُكَ عَنَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا عَفُورًا {٩٩} ﴿١﴾

وكان بإمكان الأمير أن يفعل كما فعل غيره من قادة المجاهدين من أمثال عمر  
المختار أو يفعل كما فعل ولده محي الدين الذي رفض أن يكون من دعاة فرنسا هو  
وإخوته (٢) أو يفعل كما فعل الأمير عبد الكريم الخطابي .

نعم استسلم الأمير عبد الكريم في آخر حياته . ولكنه لم يذهب إلى أعدائه ولم  
يواليهم ولم يتقاضى راتباً شهرياً منهم فعاش كريماً ومات كريماً وتفسير السنوسي  
بأن هذا أمر طبيعي أو أنه من باب الوفاء لفرنسا غير مقبول . لأن للأمير مكانه  
ومكانته . وما يصدر من الأمير غير ما يصدر من المأمور وما يصدر من الحاكم غير  
ما يصدر من المحكوم . وما يصدر من الراعي غير ما يصدر من الرعية فلكل  
شخص مكانته . والشيء الصغير إذ صدر من الكبير كان كبيراً وعظيماً . فاعطاء  
القادة ليست سهلة . لأنها تضيق أمتاً وتضي دولاً . ولذلك تصلح الأمة بصلاحيهم  
وتفسد بفسادهم . وحتى لو كان طبيعياً من غيره لا يكون طبيعياً منه .

إن هذا التحول من الأمير يدل على مدى غياب معنى الولاء والبراء العقدي  
الذي صاحبه فترة طويلة من حياته . ثم احتفى في آخرها . ولذلك كان من  
الإنصاف في تقويمنا لهذه الشخصية أن نقول : إن المرحلة الأولى من تاريخ الأمير  
محمومة له . والمرحلة الأخيرة من تاريخه محمولة عليه وحكمنا هذا على ما ظهر لنا  
بما وقع بين أيدينا من المراجع والمصادر ولعلنا نقف في تضليل الأيام على ما يناقض  
ذلك ويكشف القناع بصورة أعمق تحلي وتوضيح المراحل المتعلقة بحياة هذا الأمير  
فإن التاريخ لا يعرف الكلمة النهائية أو الأخيرة . فهناك كتب مطبوعة لم نقف  
عليها . ناهيك بالمخطوطات التي لم نرها . وقد أشار الشيخ اليطار إلى ذلك فقال  
"وتفصيل ذلك مذكور في كتاب مناقب المترجم من تأليف ولده المحترم سعادة محمد

١ النساء آية ٩٧ ، ٩٨ .

٢ حلية البشر ج ٣ / ١٤٢٩

باشا الذي سماه بالكوكب الزاهر في أخبار الأمير عبد القادر <sup>(١)</sup> ولم نقف على هذا الكتاب .

وربما كانت هناك كتب أخرى لم يعرفها الشيخ اليطار كتبت عن الأمور في حياته أو بعد مماته . ولذلك قيدنا تقريباً لهذا الأمير بما وقع تحت أيدينا من المصادر والمراجع .

**وأخيراً :** فإن من مقتضيات التكوين — تكوين الأتباع — وهو الجمهور الكبير والقطاع المريض من الناس . في انقيادهم التام وطاعتهم الكاملة لمشايخ الطرق وأربابها وقد رتب هؤلاء المشايخ الأتباع على السمع والطاعة . وعلموهم أن من آداب المريد مع الشيخ . الموافقة قبل المرافقة . وعدم الاعتراض . فإن من اعترض أنظر وعليه أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي المفل .

وهذه العبارات تبين بحال المريد مع الشيخ والتي لا تفي وجلاً . ولا تسمى فيه الحرية والإرادة والاختيار ولذلك يقول الدكتور / عامر النجار وقد يفسر إطاعة المريد إطاعة عمياء بشيخه وإخباره بكل أحواله وأسراره بأن ذلك محواً لشخصية الفرد وضعفاً ومحلاً للقوماتها وقضاءاً على إرادته وحرية واختياره <sup>(٢)</sup>

ويشبه الصوفية هذه الصلة وتلك العلاقة — بصله الطبيب بالمريض . والمرض داء نفسي دفين . فلا تجوز المقارنة بوسائل التربية الحديثة . وإنما باخلل النفسي . وفي العلاج النفسي تقوم مثل هذه العلاقة حين يسلم له المريض قياده ويطلعه على كل أسرارهِ . ولا يقدم على أمر حتى يستأذنه . وكل ذلك لضرورة العلاج الذي يستعد سنين . ويستند كلا من النظامين إلى فكرة الإنحاء القوي ... وتشابه الطريقان كذلك إلى حمية الثبات الذي لا ينسى العلاج إلا بوجود طرفين محلل ومرضى — أو شيخ ومريد — كذلك يبدو التماثل شديداً إذا علمنا أن الصوفية

(١) حلة الشرع ٨٩٧/٢ .

(٢) انظر الطرق الصوفية في مصر د/ عامر النجار ٢٦ .

كانوا على وعي بفكرة الا شعور . واستحالة إدراك المريض إلى مكوناته مع ما له من أثر في السلوك <sup>(١)</sup>

فاحمل إلى أي مدى استطاع المشايخ وأرباب الطرق السيطرة على قلوب المريدين وعقولهم فكانوا لهم كما أرادوا . ولما يقين المشايخ من ذلك صاروا يوجهون الأتباع إلى ما يريدون . من الموالاة والمعاداة — من الولاء والبراء للمستمر . فكان الأتباع يلهون إلى المعارك الهادئة للمشايخ وطاعة لهم . لا نقياداً للشرع وأحكام الدين .

وقد يقال إن ذلك للعامة والذمياء لا للتقنين والخاصة . ونقول إن ذلك خارج إطار الطريقة . أما في داخلها فليس هناك . إلا شيخ ومريد أو طيب ومريض كما تقدم . على أن الكثرة للذمياء والعامة . وهؤلاء يشبههم أحد الباحثين بأنهم كقطع الأغنام فيقول \* والجماعة كما يقول علم الاجتماع — كقطع الأغنام . إذا وثبت الأولى على الفناء وثب الجميع وإذا نفرت نفر الجميع فلا ثبت أن إلهاد بطانة الشيخ قد عمل فيما حولها . ثم ما حول ما حولها . فإذا شهرة كاذبة . وإذا عمل مبتدع إلى جانب عمل محرم . وإذا السنة للناس وإذا الشريعة ثبوت باسم الشريعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم <sup>(٢)</sup> .

وقد يقال إن هذا الكلام متوجه إلى أرباب الطرق والمشايخ الذين تعاونوا مع المستمر فكانوا عملاء . خانوا دينهم وأمتهم . أما أرباب الطرق الذين قاوموه وجهادوه فلا . ولكننا نقول إن الأتباع هنا . وإن كانت لهم إيجابيات محسوبة ومحدودة في هذه الجزئية فإن لهم سلبيات أخرى تكشف أيضاً عن مدى انقيادهم حتى في المقاومة .

---

(١) انظر الفلسفة الإعلامية في الفكر الإسلامي د/ أحمد محمود صبحي ٢٤٨ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠٠ م .

(٢) المصوف بين الإفراط والتفريط د/ حسر عبد الله كامل ٢٦٥ دار ابن حزم بيروت لبنان ط ١ لسنة ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠١ م .

والخلاصة أن دفة المقاومة والمجاهدة والمساعدة والمعاونة كانت بأيدي المشايخ وأرباب الطرق . والأتباع كانوا في ذلك جيوش كالريشة في مهب الريح تحركها الريح كيفما شاءت . لما غرسوه فيهم من معنى الطاعة والانقياد التي تودث الذلة والمهانة لا العزة والكرامة والشأن في المسلم أن يكون عزيزاً لا ذليلاً قال تعالى " والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المؤمنين لا يفقهون " (١) .

## الخاتمة

من خلال عرضنا لموضوع الطرق الصوفية وموقفها من الجهاد في العصر الحديث نستطيع أن نصل إلى النتائج التالية :

- ١ - لم تكن الطرق الصوفية موجودة في عصر النبي ﷺ ولا في عصر الصحابة ولا في عصر التابعين . وإنما ترجع بداياتها الأولى إلى نهاية القرن الثالث وأول الرابع الهجري وكانت عبارة عن آداب وأخلاق فردية يتميز بها السالك إلى الله تعالى ، ثم تطورت على مدى العصور والقرون حتى أصبحت جماعية لها نظم ورسوم وقواعد معينة يعضها الشايخ لمن معهم من المريدين . عن طريق العهد والبيعة على التوبة والاستقامة .
- ٢ - تفضى كلمة الفقهاء على أن الجهاد يراد به شرعاً . فقال المسلم للكافر غير المعاهد لإعلان كلمة الله ونصرة دينه . بعد دعوته إلى الإسلام وامتناعه عن قبوله ومحاربة الدعوة إليه . وحكمه دهرين فرض الكفاية والعين بين الطلب والدفع تبعاً لاختلاف أحوال المسلمين قوة وضعفاً سلباً وحرباً .
- ٣ - عدم صحة الخبر الذي يرويه الصوفية " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " وبطلان الاحتجاج به . وإن كان جهاد النفس في أصله مشروعاً ومطلوباً لكنه إذا أطلق في مقابل جهاد الأعداء على معنى إغفاله وإهماله كان باطلاً . ولو ترك الصحابة والتابعون والقادة والحكام من بعدهم جهاد الأعداء واكتفوا بالجلوس في المساجد والرباطات والخلوات جهاداً للنفس والشهوات لما وصل إلينا الدين ولما عم ثورة الآفاق . ثم إن هذا الجهاد إذا لم يثمر جهاد العدو كان بلا فائدة ولا بعد وإن يكون وفاقاً عند وسيلة لا توصل إلى غاية .
- ٤ - كثير من الطرق الصوفية جاهدت المستعمر في العصر الحديث وأظهرت بطولات نادرة سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور . ولولا جهادهم لما نالت معظم البلاد الأفريقية حريتها ونصحت باستقلالها وأنتهوا أن التصوف قوة

وبأس وجهاد ونضال لا تواكل وانعزال .. لا سلبية وإنهزامية . كما يتهمهم بذلك البعض .

٥ — من الطرق الصوفية من كان على نقیض ذلك . فعاون المستعمر وساعده وسار في ركابه یاتمر بأمره وينتهي بنهبه فخان بذلك دينه ووطنه وأمه . وهذه النوعية من الطرق . شوهت تاريخ التصوف ولطخته بالعار وصارت سعة في جيبه وعلامة بارزة على تحول سيرة ومسيرة .

٦ — التحقيق العملي والتطبيق الفعلي لمعنى الولاء والبراء والمواثقة والمعاداة للطرق الصوفية التي جاهدت المستعمر وقاومت — والتي عاونته ومساعدته . ووجود هذا المعنى وعدمه . وقوته وضعفه هو أساس المجاهدة والمعاونة والمقاومة والمهادنة .

٧ — كان الجهل أحياناً والتعصب أحياناً أخرى من أسباب حدوث الصراع بين الطرق الصوفية بعضهم مع بعض . ففي الجزائر تصارعت القادرية مع التجانية . وفي الصومال تصارعت القادرية بقيادة الشيخ البراري مع الصالحية بقيادة الشيخ محمد عبد الله حسن — القائد الصومالي المشهور . وكانت نتيجة هذا الصراع . القتل أحياناً . وإضعاف المقاومة أحياناً أخرى .

٨ — قامت الطرق الصوفية في العصر الحديث بأداء خدمات جليلة في المجال الاقتصادي فالتيجانية كانت لها أملاكها وأراضيها التي تمثل مصدراً كبيراً لدخلها . وكانت السنوسية هي الأخرى بما تملكه من زراعات وحرف . وما لديها من مزارع وصناع سبباً في حدوث الثقل والاستقرار وبسط لواء الأمن حتى في أحلك فترات جهادها مع الإيطاليين .

٩ — أسدت الطرق الصوفية للدعوة الإسلامية في العصر الحديث كثيراً من الحساسات التي ربما تفوق سيناقها . فقد ولقت أمام الوثنية في القارة الأفريقية سداً منيعاً من ناحية . وأمام التبشير المسيحي من ناحية أخرى . ولا تزال زواياها

الصوفية ومدن الرباط التي أنشأها زعماء هذه الطرق منارات للعلم والثقافة والمعرفة في كثير من الأصقاع البعيدة عن مراكز الدعوة الإسلامية .

١٠ — التريث في الأحكام والتثبت فيها . بلا محاباة أو محاباة . فقد أمرنا الإسلام بالعدل والانصاف في الأحكام . وعلى المحبين أن ينظروا إلى الجانب السليبي في تاريخ الطرق الصوفية وعلى الكارهين أن ينظروا إلى الجانب الإيجابي في تاريخها أيضاً وهذه النظرة تستقيم الأمور وتعديل الموازين .

١١ — تأثير مشايخ الطرق الصوفية على الجمهور والعامة من الناس بسبب ما غرسوه في نفوسهم وللوهم من وجوب طاعتهم والتسليم لهم . على زعم لقوم أدركوا بأمورهم وأعلم بأحوالهم وهذه الطاعة ساعدت في المقاومة كما أفاء في الوقت ذاته أفسدت في المعاونة .

١٢ — تعتبر فترة العصر الحديث — الاستعمار — من أشد الفترات التاريخية التي مرت بها الطرق الصوفية — إذ هي الملح الحقيقي للتصوف الإيجابي والسليبي . وقد استطاع الاستعمار بثقته ودهائه أن يجتذب بعض الطرق إلى جانبه ليكون عوناً له في القضاء على حركة الجهاد والمقاومة في كثير من البلاد الأفريقية .

١٣ — نجاح الاستعمار في دراسة نفسية الطرق الصوفية وكيفية التعامل معها بما يناسبها . تارة بالمال . وتارة بالمنصب . وتارة بالرشوة . وتارة بالإعفاء من الضرائب والإتاوات . وتارة أخرى بالمصاهرات . والمصاهرة وإن كانت مشروعة لقوله تعالى : \* والمحصنات من الدين أولوا الكتاب من قبلكم إذا آتوهن أجورهن<sup>(١)</sup> . إلا أنه من غير المشروع . بل من المخالفة والخيانة التعامل معهم والانضمام إلى معسكرهم نكابة في الإسلام والمسلمين .

١٤ — تمكنت الطرق الصوفية في العصر الحديث من تأسيس دول وإنشاء أمم لا تزال آثارها باقية إلى يومنا — مثل الطريقة السنوسية في ليبيا . والطريقة القادرية في دولة سوكوتو محلة في الشيخ عثمان بن فودي وذريته الذين أسسوا



دولة إسلامية في شمال نيجيريا . ونجد ذلك أيضاً في الطريقة التيجانية عندما أسس  
الحاج الفوني التكروري امبراطورية كبرى في غرب القارة الأفريقية وطق فيها  
أسس الطريقة التيجانية .

١٥ — وأخيراً لا فلاح ولا نجاح لهذه الأمة إلا بالرجوع إلى كتاب الله  
وسنة رسوله (ﷺ) وهدى السلف الصالح . واستمداد العقائد والأحكام ومناهج  
الحياة بكاملها من المصدر المعصوم . ونيل المناهج البشرية المتحرقة التي جرت على  
أمتنا النكبات والويلات . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## ثبت المراجع

ثبت بأهم المراجع التي اشتمل عليها البحث مرتبة على حسب ترتيب الحروف الهجائية بعد كتاب الله عز وجل دون مراعاة ال في أول الكلمة .  
" حروف الألف " .

- ١ — آثار الحرب في الفقه الإسلامي د/ وهبة الزحيلي دار الفكر دمشق ط ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م .
- ٢ — آيات الجهاد في القرآن الكريم دراسة موضوعية وتاريخية وبيانها د/ كامل سلامة الدلس دار البيان الكويت .
- ٣ — ابن باديس حياته وآثاره — جمع ودراسة د/ عمار الطالبي دار الغرب الإسلامي ط ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .
- ٤ — إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة د/ت .
- ٥ — الإسلام الطوفي . دراسة في موقفه من المجتمع ومن القضية الوطنية د/ لطيفة الأنخضر سراس للنشر والتوزيع . تونس . د/ت
- ٦ — الإسلام في القرن العشرين . الأستاذ عباس محمود العقاد . ضمن موسوعة عباس العقاد المكتبة العصرية . صيدا لبنان ط ١٤٢٧ هـ — ٢٠٠٦ م .
- ٧ — الإسلام وحركات التحرير العربية د/ شوقي أبو خليل دار الرشيد ط ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .
- ٨ — الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته د/ عبد الودود شلي دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٩ — أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ١٠ — أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٨٩ م .

- ١١ — الإطار الدفاعي عند الصوفية الأستاذ أسعد الخطيب . بحث بمجلة التراث العربي — التي تصدر عن اتحاد الكتاب العربي دمشق ع ٥٣ جماد الأول ١٤١٤هـ — ١٩٩٣ م .
- ١٢ — أعلام الإسلام — مهدي الله — الأستاذ توفيق أحمد البكري لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية — دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٤ م .
- ١٣ — الأعلام — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين خير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت لبنان ط ١٩٧٩/٤ م .
- ١٤ — أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨ م .
- ١٥ — الأمير عبد الكريم الخطابي — بطل الشمال الأفريقي — محمد عبد النعمان الحامي و محمد عبد الوارث الصوفي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٩٥٨/١ م .
- ١٦ — إلى الصوف يا عباد الله الشيخ أبو بكر الجزائري مطبعة المدني ط ١٤٠٨هـ — ١٩٨٧ م .
- ١٧ — الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر رآثارهما في حياة الأمة — علي بن يحيى الزهراني تقديم الشيخ محمد قطب دار طيبة مكة المكرمة — ودار عمار الشارقة ط ١٤١٨هـ — ١٩٩٨ م .
- ١٨ — أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة د/ علي بن نقيع العلياني — دار طيبة للنشر والتوزيع السعودية ط ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣ م .
- حرف الباء
- ١٩ — بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني مطبعة الإمام القاهرة .

## معرضه الثاني

- ٢٠ — تاريخ الأستاذ الإمام — محمد رشيد رضا . مطبعة المنار بالقاهرة
- ٢١ — تاريخ أفريقيا في العصر الحديث والمعاصر د/ شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم دار الثقافة للنوحة ط ١٤٠٧/١هـ — ١٩٩٧ م .
- ٢٢ — تاريخ بغداد ومدينة السلام لأحمد بن علي بن ثابت — الخطيب البغدادي دار الكتب العلمية بيروت لبنان د/ت .
- ٢٣ — تاريخ الصوف في الإسلام د/ قاسم غني ترجمة صادق نشأت ومراجعة د/ أحمد القيسي ود/ مصطفى حلمي ط مكتبة النهضة المصرية — القاهرة .
- ٢٤ — تاريخ الثورة المهدية والاحتلال البريطاني للسودان للسير ونستون تشرشل ترجمة عز الدين محمود دار الشروق القاهرة ط ١٤٢٧/١هـ — ٢٠٠٧ م .
- ٢٥ — تاريخ السودان الحديث — الأستاذ ضرار صالح ضرار الدار السودانية للكتب الخرطوم السودان ط ١٩٧٥/٣ م .
- ٢٦ — تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر — فريد دي بونج ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال . ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٥ م .
- ٢٧ — تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم د/ شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم — دار الثقافة للنشر والتوزيع القبة القاهرة ١٩٩٦ م .
- ٢٨ — تاريخ المغرب في القرن العشرين روم لاندو ترجمة نقولا زيادة ط بيروت ١٩٦٣ م .
- ٢٩ — تاريخ المغرب الكبير في الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال د/ جلال يحيى — دار النهضة العربية بيروت لبنان ط ١٩٨١ م .
- ٣٠ — الصوف بين الإفراط والتضييق د/ عمر عبد الله كامل دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط ١٤٢٢/١هـ — ٢٠٠١ م .

٣١ — التصوف بين الحق والخلق الأستاذ محمد فهد الشقفة الدار السلفية  
د/ت .

٣٢ — التصوف في الإسلام د/ عمر فروخ دار الكتاب العربي — بيروت  
لبنان ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .

٣٣ — التصوف في مصر أبان العصر العثماني د/ توفيق الطويل ط الهيئة  
العامة المصرية للكتاب ١٩٨٨م .

٣٤ — التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي —  
منشورات دار الكتب العربية بيروت لبنان ط ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م .

٣٥ — قدس الأشخاص في الفكر الصوفي د/ محمد أحمد لوح دار الهجرة  
بالمباض ط ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م .

٣٦ — الطريق للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق محمد حوامه دار  
الوحيد سوريا ط ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م .

٣٧ — السجانية دراسة لأهم عقائد السجانية على ضوء الكتاب والسنة  
د/ علي آل دغبل الله — دار العاصمة السعودية ط ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م .

#### حرفه الراء

٣٨ — ثروة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني  
الأستاذ عوني العبيدي مكتبة النارة الزرقاء — الأردن .

#### حرف الجيم

٣٩ — الجامع الصغير من حديث الشير النذير للإمام جلال الدين  
السيوطي تحقيق حمدي الدمرداش محمد مكتبة الباز مكة المكرمة ط ١٤٢٠هـ —  
٢٠١٠م .

٤٠ — الجهاد في الإسلام قديماً وحديثاً للمستشرق الهولندي رودلف  
بيترز — مركز الأهرام للترجمة والنشر والتوزيع القاهرة ط ١٤١٧هـ — .

- ٤١ — الجهاد في سبيل الله — حقيقته وغايته د/ عبد الله بن أحمد قادري  
دار المنارة جدة ط ١٩٩٢/٢ م .
- ٤٢ — جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي  
د/ إمام ذهبي دار المريخ للنشر والتوزيع — الرياض ١٩٨٨ م .  
عوضه الملاء
- ٤٣ — حاضر العالم الإسلامي لوروب سنودارد الأمريكي مع تعليقات  
الأمير شكيب أرسلان دار الفكر العربي القاهرة د/ت .
- ٤٤ — حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي الشيخ إبراهيم الباجوري  
مطبعة بولاق القاهرة ١٣٠٧ هـ .
- ٤٥ — حاشية رد المحتار محمد أمين الشهير بابن عابدين على الدر المختار  
شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة ط مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر .  
د/ت .
- ٤٦ — حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب لذكرها الأنصاري . الشيخ  
عبد الله الشرقاوي مطبعة الحلبي بمصر ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م .
- ٤٧ — الحركة الصوفية في الإسلام د/ محمد علي أبو ريان دار المعرفة  
الجامعة الإسكندرية ط ١٩٩٤ م .
- ٤٨ — الحركة المهدية بين التأثير والتأثر د/ صالح أحمد السلوت دار  
الأندلس طنطا ١٩٩٨ م .
- ٤٩ — حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر الشيخ عبد الرزاق  
البيطار — دار صادر — بيروت / لبنان .
- ٥٠ — الحياة الروحية في الإسلام د/ محمد مصطفى حلمي ط الهيئة العامة  
المصرية للكتاب القاهرة ط ١٩٨٤/٢ م .
- ٥١ — حياة عمر المختار الأستاذ محمود شلبي دار الجليل بيروت لبنان ط  
١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

### مؤلفه الخاء

- ٥٢ — الختمية العقيدة والتاريخ والمنهج محمد أحمد حامد محمد خير در  
المأمون الخرطوم السودان د/ت .  
٥٣ — الخزنونة خداع وتضليل الشيخ عبد الله عبد الرحمن الجزيري ط  
الثانية ١٤٢٨هـ — ٢٠٠٧م .

### مؤلفه الحاء

- ٥٤ — دهرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين — إعداد وتحرير  
نخبة من العلماء بإشراف الأستاذ إبراهيم زكي خورشيد وزملاؤه مركز الشارقة  
للإبداع الفكري ط ١٤١٨هـ/١ — ١٩٩٨م .  
٥٥ — دراسات في تاريخ الفقهية العربية الأستاذ عبد الكريم غراسية  
جامعة دمشق ط ١٩٦٠/١م .  
٥٦ — دراسات في التصوف إحصان إلى ظهر ط إدارة ترجمان الشبه  
باكستان د/ت .  
٥٧ — الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطي مطبعة  
الأزهار المحمدية القاهرة د/ت .  
٥٨ — دعوة الإصلاح بين الشيخ عبد الحميد باديس في الجزائر والدعاة  
المعاصرين في الشرق العربي د/ محمد فتحي عثمان بحث منشور في كلية العلوم  
الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود ع ٤ لعام ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .  
٥٩ — الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية تونس  
أرنولد ترجمة حسن إبراهيم حسن وزملاؤه مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط  
١٩٧٦/٣م .  
٦٠ — ديوان الإمام الشافعي تحقيق أميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي  
بيروت ط ١٤٢٤هـ/٢ — ٢٠٠٤م .

### معرض الرءاء

- ٦١ — وبانة لا رهبانية الشيخ أبو الحسن النحوي دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ط ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .
- ٦٢ — رسالة الشرك ومظاهرة مبارك الملي دار الغرب الإسلامي ط ٥ / ١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م .
- ٦٣ — الرسالة القشيرية للإمام عبد الكريم القشيري ط القاهرة ١٣٣٠ م .

### معرض الزاوي

- ٦٤ — زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية — تحقيق شعيب الأرنؤوط — ط مؤسسة الرسالة — ومكة المنار الإسلامية ط ١٤٠١ هـ .
- ٦٥ — زكريات الشيخ علي الطنطاوي دار المنارة للنشر والتوزيع جدة ط ١٤٢٦ هـ — ٢٠٠١ م .

### معرض الصين

- ٦٦ — سبيل الدعوة الإسلامية — محمد أمين المصري — دار الأرقم ط الأولى ١٤٠٠ هـ .
- ٦٧ — السودان عبر القرون — مكي شيكة دار الثقافة بيروت لبنان ط ١٤٠٠ هـ / د / ت .
- ٦٨ — السيد البنوي محمود أبو رية مطبعة الإمام بمصر . د / ت .

### معرض الطين

- ٦٩ — الشرح الصغرى على ألرب المسالك الشيخ أحمد بن محمد اللودير ط دار المعارف القاهرة .
- ٧٠ — الشيخ الجليل عمر المختار . نشأته وأعماله واستشهاده د / علي محمد الصلاي المكتبة المصرية — صيدا بيروت لبنان ط ٢٠٠٧ م — ١٤٢٧ هـ .



### معرض الساحة

- ٧١ — الصحاح في اللغة وأنعموم — معجم وسيط — تجديد صحاح العلامة  
الجوهري إعداد وتصنيف د.م. مرعشلي وأسامة مرعشلي دار الحضارة  
العربية بيروت لبنان ط ١٩٧٥/٩ م.
- ٧٢ — صحيح مسلم شرح الإمام النووي — دار إحياء التراث العربي —  
ومكتبة المحبي بيروت لبنان.
- ٧٣ — صفحات مكفة من تاريخ الصوف الإسلامي د/ كامل مصطفي  
الشبي دار المناهل بيروت لبنان ط ١٤١٨/٩ هـ — ١٩٩٧ م.
- ٧٤ — الصوفية في نظر الإسلام الأستاذ سميج عاطف الزين — الشركة  
العالمية للكتاب — دار الكتاب العالمي — بيروت لبنان ط ١٤١٣/٤ هـ —  
١٩٩٣ م.
- ٧٥ — الصوفية نشأتها وتطورها محمد العبد وطارق عبد الحليم — مكتبة  
الكوثر الرياض ط ١٤٢٢/٤ هـ — ٢٠٠١ م.
- ٧٦ — الصوفية الوجه الآخر د/ محمد جميل غازي إعداد عبد المنعم  
الجدناوي — المطبعة الفنية بالقاهرة د/ت.

### معرض الحائط

- ٧٧ — ضعف الجامع الصغير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط المكتب  
الإسلامي.

### معرض الطاء

- ٧٨ — طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها د/ أحمد محمد أحمد  
جلي دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع لبنان ط ١٤١٢/١ هـ — ١٩٩٢ م.
- ٧٩ — الطرق الصوفية في القارة الأفريقية د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم  
دار الثقافة بالقاهرة ط ٢٠٠٤/١ م.

٨٠ — الطرق الصوفية في مصر د/ زكريا بيومي — دار الهجرة — القاهرة ط ١٤١٢هـ .

٨١ — الطرق الصوفية في مصر د/ عمر النجار دار المعارف القاهرة ط السادسة د/ت .

٨٢ — الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها د/ عبد الله بن دجين السهلي دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ط ١٤٢٦/١هـ — ٢٠٠٥ م .

٨٣ — الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية د/ التليي العجلي — منشورات كلية الآداب عنابة ١٩٩٢ م .

#### حرفه العين

٨٤ — العامل اللبني في الحركة الوطنية الجزائرية الأستاذ الدكتور / أبو القاسم سعد الله — مقال بمجلة الفيصل ع ١٣٨ ذو الحجة ١٤٠٨هـ أغسطس ١٩٨٨ م .

٨٥ — عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والتزعم السياسي د/ مازن مطبقاني دار القلم دمشق ط ١٤٢٠/٢هـ — ١٩٩٩ م .

٨٦ — العقيدة والقوة معاً محمد عبد الله السمان دار الملج بيروت لبنان ط ١٣٩٤/١هـ — ١٩٧٤ م .

٨٧ — عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد في ليبيا — طاهر أحمد الزاوي دار المختار الإسلامي للنشر والتوزيع ط ١٤٠٤/١ م .

٨٨ — عوارف المعارف للإمام السهروردي ملحق بأحباء علوم الدين للإمام الغزالي — دار المعرفة بيروت .

#### حرفه الفاء

٨٩ — فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المطبعة السلفية بالقاهرة د/ت .

- ٩٠ — الفصح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا . نشر دار الحديث .
- ٩١ — فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدواية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني مكتبة الرشد الرياض ط ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣ م .
- ٩٢ — الفقه المبسر في العبادات والمعاملات الشيخ أحمد عيسى عاشور مكتبة القرآن القاهرة ١٩٨٤ م .
- ٩٣ — الفكر الصولي في ضوء الكتاب والسنة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق دار الحرمين للطباعة ط ١٤١٣هـ — ١٩٩٣ م .
- ٩٤ — الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا — الأستاذ أنور الجندي — الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة — ط ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥ م .
- ٩٥ — الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي د/ أحمد محمود صبحي دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠٠ م .
- ٩٦ — فلسفة الحياة الروحية د/ مقداد باجن دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ط ١٤١٠هـ — ١٩٨٩ م .
- ٩٧ — في التاريخ الإسلامي د/ شوقي أبو خليل دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط ١٤١٢هـ — ١٩٩١ م .

#### معرض القاض

- ٩٨ — القدوة الصالحة أخلاق قرآنية ونماذج ربانية الأستاذ حسني إبراهيم جرار — دار الضياء للنشر والتوزيع — الأردن ط ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥ م .

#### معرض القاضي

- ٩٩ — كتب ليست من الإسلام محمود مهدي الاستانولي ط المكتب الإسلامي ط ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣ م .
- حرف اللام

١٠٠ — لسان العرب لجمال الدين بن منظور ط دار الحديث القاهرة

١٤٢٣هـ — ٢٠٠٣م .

### حرفه الميم

١٠١ — مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية — جمع وإعداد عبد الرحمن

قاسم — مكتبة المعارف الرباط المغرب .

١٠٢ — مختار الصحاح لعماد بن أبي بكر الرازي دار الكتاب العربي بيروت

لبنان ط ١٩٩٧/١م .

١٠٣ — مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم

الجزيرة دار الحديث .

١٠٤ — مدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبو الوفا الطنطاوي دار الثقافة

للطباعة والنشر بالقاهرة ط ١٩٧٩/٣م .

١٠٥ — مذكرات عبد الماجد أبو حسو دار صنيب للنشر والتوزيع

بالخرطوم السودان ط ١٩٨٧/١م .

١٠٦ — المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا د/ عبد الله عبد الرازي

إبراهيم — سلسلة عالم المعرفة الكويت ع ١٣٩ ذو القعدة ١٤٠٩هـ —

١٩٨٩م .

١٠٧ — مشتهى الخارق الجاني في رد زلقات النيجاني للشيخ محمد الحضر

الشفيعي دار البشير عمان الأردن ط ١٤١٥/١هـ .

١٠٨ — مشكلات الصوف المعاصر د/ سعد الدين السيد صالح دار المعارف

القاهرة ط ١٩٩٣/٢م .

١٠٩ — مظاهر الانحرافات العقلية عند الصوفية وأثرها السي على الأمة

إدريس محمود إدريس مكتبة الرشد الرياض ط ١٤١٩/١هـ — ١٩٩٨م .

١١٠ — المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط دار المعارف القاهرة

١٩٨٠م .

- ١١١ - المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر د/ صلاح العقاد مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ط ١٩٩٣ م .
- ١١٢ - المغني عن حل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للحافظ زين الدين العراقي ملحق بإحياء علوم الدين للغزالي دار المعرفة بيروت لبنان ط ٢٠٠٤/١م - ١٤٢٥هـ .
- ١١٣ - المقدمات المهمات لبیان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية دار صادر بيروت .
- ١١٤ - المنقذ من الضلال للإمام الغزالي - مع مقدمة في التصوف د/ عبد الحليم محمود - دار الكتب الحديثة القاهرة .
- ١١٥ - المهدي المنتظر روايات أهل السنة والشعبة الإمامية دراسة حديثة نقدية د/ عذاب الحمشي دار الفتح للنشر والتوزيع عمان ط ١٤٢٣/٢هـ - ٢٠٠٣م .
- ١١٦ - الموسوعة الحركية الأستاذ فتحي يكن دار البشير للنشر والتوزيع عمان ط ١٤٠٣/١هـ - ١٩٨٣م .
- ١١٧ - الموسوعة الصوفية د/ عبد النعم الحفني مكتبة مديوني بالقاهرة ط ٢٠٠٦/٥م .
- ١١٨ - موقف الإبراهيمي من الطرق الصوفية المتحرفة في الجزائر د/ محمد زهران . بحث بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية الكويت ع ٤٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - يوليو ٢٠٠١م .
- ١١٩ - منتهى الإرادات لفضي الدين محمد بن أحمد القنوجي الحنبلي الشهير بابن التجار ت الشيخ عبد الفتي عبد الحالق - عالم الكتب بيروت لبنان ط ١٤١٦/٢هـ - ١٩٩٦م .

١٢٠ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن  
عثمان الذهبي تحقيق محمد علي الجاوي وضحة علي الجاوي دار الفكر العربي  
د/ت .

#### مرفه النون

١٢١ — نظرية المؤامرة أوهام أم حقيقة ؟ الصوفية — موفق صادق المطار  
دار الأوقاف سوريا دمشق ط ٢٠٠٦/١ م .

#### مرفه الماء

١٢٢ — هدوذة في السياسة والتاريخ — الملك — العقيد — المعارضة الليبية  
في الخارج — الصادق سكر شبكة الإنترنت .

١٢٣ — هنية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين إسماعيل باشا البغدادي  
— مكتبة الشبي بغداد — مصورة على نسخة استاهول سنة ١٩٥١ م .

١٢٤ — هذه هي الصوفية الشيخ عبد الرحمن الوكيل — دار اللواء —  
الرياض السعودية ط ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

## فهرس الموضوعات

الموضوع	المصفحات
— مقدمة	٣
— تمهيد لفردات البحث	٦
— البحث الأول : الطرق الصوفية وأدلة الجهاد	٢٢
— البحث الثاني : الطرق الصوفية المقاومة	٣٥
— البحث الثالث : الطرق الصوفية المعاونة	٨٠
— البحث الرابع : التقويم	١١٣
— الخاتمة	١٣٠
— المراجع	١٣٤
— فهرس الموضوعات	١٤٧